

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

## تحولات المجتمع الشيشاني

### مقدمة

الاستاذ شمس الدين عبد الرازق الشيشاني  
خريج جامعة الأزهر

لم يتطرق أحد حتى الآن لمسألة العشائر الشيشانية أو المجموعات الصغيرة منها في موضوع شامل كما هو في هذا الكتاب ، الذي وضعه الكاتب والمؤرخ الشيشاني مجاميد مَمَكَايِف . МОГАМЕД МАМАКАЕВ وهذه الدراسة الوافية تعطينا الكثير عن كيفية تكون العشائر الشيشانية وتنظيماتها القضائية وصراعاتها الاجتماعية والاقتصادية ، بالإضافة إلى أماكن تواجدها وانتشارها وعملية تطورها وما إلى ذلك مما احتوت عليه الدراسة من أحداث تاريخية وموضوعات قيمة وشيقة ، مسرودة بشكل علمي جذاب ومستندة إلى المعلومات المادية والفلكلورية الفنية ، وأبحاث المؤرخين البارزين ذوي العلاقة المباشرة مع الشعب الشيشاني في أكثر الأحيان . كما أن اغتناءها بمعطيات من معهد الأبحاث والتاريخ واللغة لجمهورية الشيشان - إنجوش (السوفييتية سابقا) ، أضاف إلى البحث أهمية بالغة يمكن الاعتماد عليه جذريا واعتباره من إبداعات المؤلف ممكاييف التي لا غنى عنها.

كلمة وايناخ كما يسمي الشيشان والإنجوش أنفسهم تعني شعبنا أو قومنا . وهذا الشعب هو أقدم شعوب القوقاز ، بل من أصوله وجذوره . وله تاريخ تليد حافل بالمجد والسؤدد ، منقوش في صفحات تلك البلاد الجميلة الخالدة . وقد جاء ذكرهم في كتب القدماء من المؤرخين أمثال : هيرودوت واسطرابزون وغيرهما . وحافظ الوايناخ على قوميتهم ووحدتها ، وعلى عاداتهم وتقاليدهم ، ولا سيما عندما كانوا يندمجون ويختلطون بغيرهم من الشعوب.

وهجرتهم في القرن الماضي كانت قليلة إذا ما قيست بهجرة الشراكسة مثلا . ويقطن شعب الشيشان - إنجوش في منطقة شمال القوقاز (الكوكاز\*) . (\*) (تتكون كلمة الكوكاز في اللغة الشيشانية من مقطعين هما : الأول- كاو ، والذي بدوره يتألف من كا وتعني قبضة اليد . وعند إضافة الواو إليها لتصبح كاو ، يصير معناها بوابة . ويقصد بها حيازة البوابة أو مدخل المنطقة. والمقطع الثاني كاز يعني لغويا الشيء الذي خارج قبضة اليد . وبذلك يصبح معنى الكوكاز ( القوقاز) - الفاصل بين ما في حوزتك وحوزة الآخرين . ويقصد بذلك منطقة الكوكاز الجبلية، وهي المنطقة الفاصلة ما بين أوروبا وآسيا . وكذلك الحد الفاصل ما بين بحر قزوين (بحر الخزر) والبحر الأسود . والكوكاز والقفقاس والقوقاز كلها كلمات مترادفة وتُطلق على المنطقة الواقعة ما بين بحر قزوين والبحر الأسود ، وهذه المنطقة تشكل حلقة وصل ما بين أوروبا وآسيا. )

ولهم جمهورية تسمى بجمهورية الشيشان-إنجوش السوفييتية ذاتية الحكم(أما الآن - جمهورية الشيشان) ، تبلغ مساحتها حوالي عشرين ألف كم ٢ (قبل الانفصال عن الإنجوش .) ويزيد عدد سكانها عن المليون نسمة ، وعاصمتها مدينة غرُوز.ني. كما ينتشر الشيشان والإنجوش خارج جمهوريتهم في مختلف أرجاء الاتحاد السوفييتي الشاسعة (حالياً روسيا الاتحادية)، وفي معظم مناطق العالم. واللغة الشيشانية لغة قديمة قائمة بذاتها ، لا تشارك لغة أي شعب من شعوب القوقاز ، وتنتمي إلى مجموعة اللغات الإيبيرية-القوقازية . وجاء في جغرافية ملطبرون ما يشهد على أقدميتها ، والذي يقدم فيها وصفاً لـ التشيتشين ЧЕЧЕН (CHECHENS) أو الشيشان يقول فيه : "وكلهم (القبائل الشيشانية (يتكلمون بلغة مخصوصة يظهر أنها عندهم من قديم الزمان. "

تطرق مؤلف هذا البحث بشكل مسهب إلى المجموعات الشيشانية والعشائر الرئيسية، بيد أنني أتناول ذلك بإيجاز شديد خاصاً بالذكر فقط ما يتعلق بنا نحن هنا في الأردن .

تشبه تقسيمات العشائر عند الشيشان إلى حد بعيد تقسيمات مثيلاتها عند اخوتنا العرب ، فيقول المؤلف : إن الشيشان لديهم أربعة اصطلاحات هي بمثابة الإشارة إلى الفروع المنحدرة من العشيرة ذاتها . وهذه الاصطلاحات يستعملها الشيشان منذ زمن بعيد.

وجاء في كتاب العشائر الأردنية للدكتور العبادي عن ترتيب البنيان التنظيمي للعشائر مايلي :- مجموعة عشائر- العشيرة - الفرقة - الحمولة - الدرجة الخامسة - الربع - الأسرة - الفرد . ويقول العبادي بأن الفرقة هي بداية الافتراق في تحمل المسؤولية الجماعية ، وبأن الحمولة هي نهاية الدائرة في تحمل تلك المسؤولية داخل العشيرة أو مجموعة العشائر . وأن الفرقة لا تقل عن الجد السابع أو السادس ولا تزيد عن الجد التاسع . ويذكر الكلبى عن البنيان التنظيمي الآتي :- الشعب - القبيلة - العمارة - البطن - الفخذ.

عند الشيشان (BAP (VAR عند المؤلف مَمَكاييف اصطلاح وارٌ ذو أهمية بالغة ؛ فهو يعني علاوة على بقية الاصطلاحات - مجموعة من الناس لصيقة الدم بشكل جوهري، وهي أي وار تُحدّد مفهوم العشيرة بدقة أكبر. أما جار يقابلها تماماً البطن عند العرب ، وهي كما في نيقى - أي الفخذ يستطيعون تسمية جدهم الحقيقي بعكس العشيرة ، التي يمكن أن ينضم إليها بالمواخاة أو بالانتماء من الخارج. أما НЕКЪИЙ (NEQII) أما نيقى الفخذ فهي تختلف عن العشيرة فقط بعدد الأجيال . وهي بالتأكيد تنظيم اجتماعي قائم أيضاً على القرابة ، ويستطيع ذكر الجد الحقيقي له مثله مثل الفرقة عند الأستاذ العبادي .و ثسا - ЦИА (TZA) هي العائلة ، أما الأسرة عندنا فنُسَمّى دويزال . ДОЪЗАЛ (DOEZAL) والذي يتابع الكتاب يجد شرحاً وافياً عن هذه الاصطلاحات ومدلولاتها . يوجد في المملكة الأردنية الهاشمية في الوقت الحاضر من الشيشان والإنجوش المهاجرين ما يربو عن العشرة آلاف نسمة . كما يتواجدون في سوريا والعراق وتركيا وغيرها من البلاد الأوروبية وأمريكا.

ويعيش في الأردن ممثلو العشائر الشيشانية المنتمية إلى القبائل (مجموعات العشائر) الرئيسية التسع ، الواردة في هذا الكتاب وأهمها مجموعة نُوخْتَشْ مَحْكَوِي ، والتي منها العشائر التالية في الأردن :- بينوي ، أيت-كالوي ، بلتوي ، زانداقوي ، تسونثروي ،

غوردالوي ، خارا تشوي ، كورثالوي ، علروي ، جيندر جينوي، يالخي ، شونوي...  
وغيرها.

وفي الختام نرى لزاماً على كل قادر في أي قطر من الأقطار أن يساهم في التقارب  
والتراحم ، طالما كل جماعة تجهل الكثير عن الجماعة الأخرى سياسياً واقتصادياً واجتماعياً.

وتلبية لهذا النداء ، بل قياما بالواجب ووفاء للشعب والأمة والتاريخ ، كان لزاما علينا في  
رأينا أن نتقدم بهذا الكتيب ، الذي يحاول فيه المؤلف والمعلق والمترجم تحقيق بعض الأغراض  
وإصابة الأهداف التي يصبوا إليها .

ونحن إذ نتحدث عن المجموعات والعشائر الشيشانية - الإنجوشية من الناحية التاريخية  
والاجتماعية لا نستطيع أن ندعي أننا سوف نفي البحث حقه . فكثير من مستلزماته لا يزال في  
دور التبلور ، كما أن كثير من الحقائق التاريخية لا تزال في حاجة إلى مزيد من البحث  
والدراسة.

وأياً كانت الحال ، فالكتاب وترجمته محاولة جيدة، ورائدة نصل عبرها إلى تعرف قراء  
اللغة العربية على شيء عن أحوال الشيشان والإنجوش ، وبعض عاداتهم وتقاليدهم، في بلد  
يعيش الآن أبناؤهم فيه ، واندمجوا بأهله الكرماء الطيبين . وهو واجب يتمشى مع عادات  
وتقاليد العرب.

وأخيرا ، رجاؤنا وأملنا أن يكون هذا الكتيب بادرة لاهتمام الكتاب والمؤرخين من أبناء  
هذه الأمة ، سيما ونحن في مزيد من الحاجة إلى المعرفة والاطلاع . القسم الثاني

## **"تحولات المجتمع العشائري الشيشاني في العصر الحديث"**

**المؤلف: مجاميد مكايف**

**الترجمة: الدكتور أمين شمس الدين**

### **القسم الأول**

#### **تمهيد**

لا توجد وللأسف مؤلفات وكتب خاصة عن العشائر الشيشانية ، سوى بعض المقالات  
لمؤرخي ما قبل الثورة الاشتراكية وللمؤرخين السوفييت ، والتي تشير إلى قضايا العشائر .  
وباعتقادنا تعاني هذه المعطيات من سلبيات جدية أهمها اختفاء تام لمواد معينة ومميزة للنظام  
الاجتماعي الشيشاني في تلك الفترة . لقد وردت في أعمال هؤلاء المؤرخين ظواهر ومميزات

البناء الفوقي ، أما المسببات الاجتماعية وبكلمة أخرى الدوافع الحقيقية لهذه الظواهر والمميزات فقد بقيت مبهمه.

وحتى الآن لم تلق مسائل الصراع الطبقي داخل الجماعات العشائرية الشيشانية الشرح الكافي في مجال أدبي مختص . وبنفس الوقت فإن دراسة هذه المسائل المهمة للغاية ستساعدنا على أن نفهم بشكل صحيح جوانب كثيرة من التطور التاريخي للشعب الشيشاني . ولكي نتطلع إلى الغد بشجاعة ، علينا أن نلتفت إلى الماضي ، وأن نتذكر بأن كل شيء جديد ينمو في أحشاء القديم . لذا يجب علينا أن ننقل معنا إلى المستقبل عاداتنا وتقاليدنا الماضية المجيدة ، وكل شهير وبديع حققناه ونحققه في الحاضر . يجب أن يحفظ الشعب ثراث الرجولة والتضحية ، ثراث الشرف والوطنية العالية – تراث أجداده البعاد ذو رموز الملاحم والأساطير الحماسية والنصب الثقافية المادية الملموسة ، والتي تتمثل في أماكن الاستيطان القديمة والقرى والمدن الصغيرة ومنشآت العبادة والمقابر.. الخ. حيث أن زيارة الناس إلى مقابر أجدادهم هو قبل كل شيء من أجل التعرف بعمق على تاريخ شعوبهم وتقدير الاحترام لموتاهم وللمقاتلين البواسل وإحياء ذكراهم . وبدون هذه "الترسانة" الروحية والمعنوية لا معنى لحياة شعب ؛ لأنه حين تدعو الحاجة لوحدة القوى ضد الأعداء والمستغلين – فالشعب هو الذي يهب دوما سالكا شعارات وتقاليد تعكس أفضل الأمانى والأمال الإنسانية وأكثر المثل إشراقاً . وتدل الشواهد الثابتة للثقافة المادية والفكرية لشعب الوايناخ بأن أصل التنظيم العشائري الشيشاني يمتد في طيات من ظلمات القرون الغابرة.

نحن لا نلجأ أبدا عن طريق بحث المجتمع العشائري الشيشاني خلال الفترة الممتدة ما بين القرنين الثامن والسابع عشر إلى باكورة أشكال تنظيمه العشائري . إذ طرأت على المجتمعات خلال هذا الزمن ونتيجة للتأثيرات المتبادلة بين القبائل والشعوب على بعضها البعض تغيرات واسعة وعميقة جداً . فالحروب القبلية والنزاعات الداخلية أحدثت تغييرات كبيرة في الصلات والعلاقات ما بين العشائر الشيشانية ، وهذا يجعل من المتعذر إمكانية تحديد طبيعة حياتها وتنظيماتها البدائية . لهذا أيضا يبقى الكثير غامضا ولحد الآن فيما يخص نمط حياة هذا الشعب. ومن الخطأ كذلك الاستناد على هذا ومحاولة إثبات أن منشأ الشعب كان محدودا بفترات زمنية تاريخية قصيرة ، حيث أن العشائر والتنظيم العشائري هو في نهاية المطاف نتيجة البناء الاجتماعي ذي الأصل والتطور السابق نوعا ما لتاريخ شعب الوايناخ القديم ؛ هذا التاريخ الخاضع نسبيا في ضوء مؤسساته الاجتماعية إلى إعادة بناء شاملة.

لم يهتم أحد تقريبا وعلى مر عصور كثيرة بشعب الوايناخ ، وإلى سنوات قريبة لم يتناول أي من المؤرخين دراسة عميقة لبنائه الاقتصادي وحياته الاجتماعية-السياسية والثقافية . ولم يأخذ أحد على عاتقه مهمة إنجاز وثيقة حقيقية لتاريخ هذا الشعب ، الذي يقطن منذ زمن بعيد في الجزء الشرقي من شمال القوقاز . وعلى الرغم من الخطوات المعروفة والمثمرة في هذا المجال ، يتوجب الاعتراف بأنه حتى ما نُشر عام ١٩٦٧ "مقتطفات من تاريخ الشيشان-إنجوش" ، ج ١ لم ينهض على مستوى لائق بالمهمة الموكولة . فما دفع المؤلف من جديد للعودة إلى مسألته الأثيرة – مسألة أصل وتكوين الشعب الشيشاني ؛ إنما هي الرغبة الأكيدة في حمل قسط وافر من العمل الجاد والكشف عن أهم جوانب تاريخ شعبه.

في القرن السابع عشر وحتى القرن الثامن عشر ، احتفظ الشيشان نوعاً ما وبصورة واضحة جداً بمزايا وصفات البناء العشائري . وبنفس الوقت نمت وازدهرت عناصر جديدة ذات علاقات إقطاعية ثم رأسمالية ، وتراجعت جموع العشائر القديمة أمام هذا التغيير الفاسي إلى الورا. إلا أنها ناضلت بصلابة من أجل وجودها وكيانها . وفي تلك الفترة عانت مختلف العشائر الشيشانية من صراعات اجتماعية حادة ذات صلة مع التنظيم الإقطاعي للمجتمع الشيشاني.

تجدر الإشارة إلى أن الكفاح العنيد للشعب الشيشاني مع الأرسقراطية الإقطاعية قد مكن نوعاً ما من عرقلة الأطماع الجشعة لهذه الطبقة ، وإتاحة الفرصة للحفاظ بقدر كبير على حريته في البناء العشائري وفي الحياة الاجتماعية. لكن هذه المقاومة لم تستطع إطلاقاً إدارة عجلة التاريخ إلى الورا ، وتشكيل مجتمع وفق ما يسمى بـ "البناء الشعبي(العشائري) الثاني" . لا ، فعلى الرغم من أن الإقطاعية والأرسقراطية قد جابهت في هذه المنطقة (أكثر من غيرها من المناطق والشعوب المجاورة) مقاومة عنيفة من قبل الفلاحين ، إلا أن التطور التاريخي للمجتمع الشيشاني سار على طريق توسيع الملكية الإقطاعية وتقليص الأراضي الجماعية . ولاقت المقاومة الموجهة ضد هذه العملية الاجتماعية الشرسة دعماً شكلياً من قبل المبادئ والقواعد العشائرية، التي كانت ولم تزال تحافظ على قوتها وتنظيمها . وعلى الرغم من هذا كله ومع أن كل شيشاني استطاع بكل فخر واعتزاز أن يعلن : سو إوزدا نوختشو وُو CO OBY3DA HOXCHO BY (أنا شيشاني حر) ؛ إلا أنه لم يكن حرّاً بالمعنى الحقيقي لهذه الكلمة .

هكذا كان الوضع الفعلي للأشياء ، بغض النظر عن أنه بحكم انعدام أشكال الدولة عند الشيشان . ونظراً لوجود مؤسسة قضائية راسخة نوعاً ما للعشيرة ، وكذلك قيام صراع داخل العشيرة لم يُتَح للإقطاعية الأرسقراطية الجديدة من أن تُقوّي وتُثبت غرسها الطبقي كقانون استثنائي خاص لامتلاك الأراضي والناس . ولا ينبغي اعتبار هذا الظرف كطارئ أو مصادفة غير عادية ، ولا كخاصية ينفرد بها تاريخ الشعب الشيشاني.

استناداً إلى مصادر تاريخية وفلكلورية وإلى أعمال التنقيب عن الآثار ، انتهى خلال القرنين السادس عشر والسابع عشر كون العشيرة الشيشانية ذلك " التنظيم الرائع الذي كان فيه الجميع متساوون ، والذي قام بحل مختلف النزاعات والخصومات بين أفرادها عن طريق الجماعة التي كانوا ينتمون إليها أو التي يمسونها مباشرة... أي عن طريق العشيرة كلها أو المجلس العشائري ، الذي انتخبه الناس بأنفسهم " . وجماعية استخدام الأرض كانت فقط عبارة عن تخيل أخلاقي يغطي في الحقيقة وجود الملكية الخاصة) وغالبا الإقطاعية) . يكتب المؤرخ ن . إيفانينكو قائلاً : " وُضع قانون الملكية لإشغال الأرض بأحقية شاغلها، وتطور في منطقة بلاد الشيشان منذ زمن لا يُذكر . والطبقة التي لم تكن تملك أرضاً في المجتمع لم تكن راضية بتاتا عن الوضع المتميز للطبقة المالكة . وكانت توجه الأسئلة التالية : منذ متى بات اللوم يوجه إلى إشغال الأرض بحرية ، ويسمى "استيلاءً طوعياً" وينتهك المصالح العامة ؟ وكانت الأجوبة : منذ زمن بعيد ، لا نعرف ، قبل مجيء الإمام شامل .. وهكذا دواليك."

سارت الإقطاعية في المجتمع الشيشاني ببطء شديد وبشكل غير منظم ؛ انتشرت في السهول، نعم، وفي الجبال أيضا حيث عاشت عشائر كبيرة واتحادات عشائر (قبائل). كانت كل الظروف آنذاك مواتية ليصبح زعماء العشائر أغنياء بصورة لا يُستهان بها ، أولئك الذين وصلوا لدرجة التحول إلى إقطاعية النبلاء (الأرستقراطية) ومتجاوزين هذه الحدود بعض الأحيان . وعلى كل حال ، فأغاني الشيشان وأساطيرهم وقصصهم وكذلك الوثائق التاريخية التي بحوزتنا ، تحوي الكثير من المعلومات عن الأمراء الأغنياء وعن العبيد المظلومين ، وعن الشعب البسيط التابع لسلطة ذوي النفوذ الأشداء ؛ إذ يخطئ ذلك المؤرخ ، الذي يحاول مستندا إلى تلك الظروف إقناعنا بأنه لم تكن هناك في القرن التاسع عشر عند الشيشان أرستقراطية إقطاعية قضائية التكوين . يخطئ أولئك الذين يحاولون إثبات أن عشائر الشعب الشيشاني كانت في تلك الفترة من الزمن " جمهوريات ديموقراطية حرّ القسم الثالث

## القسم الثاني

### الأسرة الشيشانية

#### ДОБЗАЛ (دويزال)

تطورت فكرة العائلة، أو الأسرة، لدى كل شعوب العالم تقريبا مرورا بمراحل متتالية، علما بأن الزواج الأحادي (زواج امرأة برجل واحد MONOGAMY) كان الشكل النهائي لهذه السلسلة. ومن الممكن أيضا بأنه وجد لدى الشيشان في الأزمنة التاريخية البعيدة شكلا آخر للعائلة، إلا أنه يوجد لديهم منذ بداية التاريخ خاصية الزواج الأحادي (عدم تعدد الزوجات أو الأزواج). وتتميز بهذه الخاصية الأسر التي نشأت في عصر التمدن، وقامت على أساس سيادة الزوج بهدف واضح ومعين هو إنجاب أبناء ذوي منشأ أبوي محدد. وتجدر الإشارة هنا بأن مثل هذا الزواج الأحادي طبق على المرأة فقط وغدا أمرا متفق عليه بالنسبة لها. أما الرجل فقد احتفظ بالحق المطلق في الزواج - حق غير مشروع في تعدد الزوجات. يقول ف. أنجلس بهذا الخصوص : " نشأ الزواج الأحادي (المونوجا مي) نتيجة لانحصار وتركز الأموال الكبيرة في أيدي بعض الناس، وخصوصا في أيدي الرجال لكي يتم تناقلها عن طريق الوراثة دون التباس وبشكل معلوم. لذلك كان من الضروري تطبيق شكل وحدة الزواج - الزواج الأحادي - على المرأة وليس على الرجل. ولم يعق هذا النظام إطلاقا تعدد الزوجات بالنسبة للرجل." إن أي شيشاني ارتبط مع زوجته من أجل الحياة المشتركة باتباع المراسيم وحسب الأعراف والشعائر المدنية والدينية ، أنشأ عائلته المكونة من الأبناء والبنات والأحفاد أي- الأسرة بالمعنى التام لهذه الكلمة. وكان الأب رأس العائلة هو المقدر فقط على التصرف بأموال العائلة. أما أبناء البنات فقد كانوا يُعدون من عائلة أخرى- من عائلات أزواجهن. وعلى هذا النحو أصبحت المرأة بعد زواجها عضواً في جماعة الزوج، ولكنها بقيت عضواً في عشيرتها كما في السابق. واستمرت بشكل خاص تحمل اسم عشيرتها . وهكذا فأعضاء العشيرة المعنية تألفوا من اتحاد أقارب ذوي منشأ أبوي فقط (أي عن طريق

(الأب). واستثنى من أعضاء هذه المجموعة جميع الزوجات اللواتي ارتبطن برباط الزوجية، وأثنين من عشيرة أخرى. وبذلك تكونت العائلة من ثلاثة أو أربعة أجيال، بلغ تعداد أفرادها كقاعدة عامة العشرات من ذوي أعمار وتخصصات مختلفة. واتحد هؤلاء معا في ملكية اقتصادية -جماعية عامة. خضعت هذه العائلة لإشراف وقيادة مطلقة من قبل رئيسها رب العائلة (الأب).

كان ماضي هذه العائلات والأسر هو المسيطر على حاضرها، وكل جديد وقع تحت حكم القديم. وسيطر الرأي المحافظ على الرأي التقدمي والحديث. وكانت سلطة رب الأسرة في ذلك الزمن سلطة قضائية وغير محدودة، إلا أنها خضعت في الواقع للعادات والتقاليد ولتجارب وخبرات الأجيال السابقة، وأحاط بها إطار من البرامج التنظيمية التي سيرت العائلة كما كانت تسيير حياة الناس في العصور الماضية .

قامت العائلة البطريركية هذه ( PATERNAL FAMILY ) بحراثة الأرض، وجمع المحصول، ورعي الحيوانات، بشكل جماعي وعبر الأجيال، إضافة إلى ممارسة الصيد وتبادل التجارة مع جاراتها، كما أنها تقاسمت الأفراح والأتراح تحت سقف واحد . خضعت الأسرة وبشكل مطلق لسلطة كبار السن، وعمل قانون العادات المجردة والمبرمج سلفاً، على تحديد سلوك ونشاط كل عضو من أعضاء الأسرة. وكان كل فرد في الأسرة يخضع ويعمل وفق ما تفرضه تلك البرامج الموضوعية بشكل صارم. ومثل هذه العائلات والأسر هي التي شكلت الأساس للمجتمع الشيشاني. وقد أكد المؤرخ كوسفين على ذلك معتمداً في أبحاثه على دراسة مواد متنوعة، وصل نتيجتها إلى أن الباترونيميا - ( PATRONOMIC ) تعتبر واحدة من أهم الخلايا الأساسية للمجتمع الشيشاني في عصر تشييد الأبراج والقلاع القديمة. و الباترونيميا، وهي دليل النسب - عبارة عن مجموعة صغيرة من الأسر، تتكون من أفراد يشكلون قرابة بالنسب. كما يؤكد نفس المؤرخ، بأن عبارة أو مصطلح "تايب" وتعني عشيرة باللغة الشيشانية، يُستخدم بشكل خاص عند الشيشان والإنجوش للدلالة على الباترونيميا. وهو، أي كوسفين، يتطرق إلى ذلك بتحليل معاني مختلفة لباترونيميا الشعوب القوقازية ( ١ ). أما المعتقدات الشيشانية فلا تتصور العشيرة (تايب) كمجموعة قليلة من الناس إطلاقاً. ولهذا لا نعتقد بأن كلمة عشيرة يمكن تداولها للدلالة على الباترونيميا - أي مجموعة صغيرة من الناس (أسر) ذات أفراد هم أقرباء بالنسب .

تكونت العشيرة الشيشانية في القرن السابع عشر، من مجموعات من الأجيال - أفرع أو جار(تلفظ بالجيم المصرية). (وعلى غرار العشيرة (تايب)، كانت هذه الأجيال (الأفرع أو الجار) تسمى نفسها باسم جدها الحقيقي، وانقسم أفرادها بدورهم إلى فئات أصغر هي كما نسميها باللغة الشيشانية : نيقي - تسا - دويزال ( أي الفخذ والعائلة والأسرة على الترتيب). وهكذا فأقرب تعبير للباترونيميا هو جار (GAR (ГАР، ويأتي في المرتبة الثانية بعد العشيرة - ويعني جماعات صغيرة من الأسر تربطها قرابة النسب وعن طريق الأب (أنظر ملحق ١- ب ). كان هدف الشيشاني في حياته هو امتلاك مسكن خاص به، وإنجاب نسل سليم وقوي، وان يزدهر اقتصاده العادي. ولم يُعتبر الموت عند الشيشان شراً، لأنه شيء لا مفر منه، وهو من الإله العلي نفسه ( ديلا -ДЕЛА هكذا يسمى الشيشان الله سبحانه وتعالى، أو الخالق . ) إن الخطر أو التهديد الخارجي، كتعرض الأسرة أو العائلة لإبادة جماعية، اعتُبر كارثة مروعة لكل المجتمع. ومهد هذا الاعتبار الطريق لتبني الناس الغرباء في الأسر، والذين انتموا في الحال إلى بقية أفراد العشيرة، وتمتعوا بنفس الحقوق والواجبات.

الزوج، هو فقط من كان باستطاعته ترؤس الأسرة، مع أن الزوجة وبحكم اقتنائها للأموال لم تكن بأقل قدرة وحرية بشكل عام. والابنة ورثت حصة مساوية لحصة الأخ. وحصة الأم كانت مساوية لحصص الأطفال. وينبغي هنا عدم الالتباس بين العلاقات الحقوقية التي كانت قائمة في السابق مع تلك التي أدخلها الإسلام في البلاد، والناشئة عن حقوقه المدنية والدينية التي تراعي عند تقسيم الإرث إعطاء حصة كاملة للابن مقابل نصف حصة للابنة والثلث للزوجة. وفي ظروف البناء العشائري فقدت المرأة المتزوجة بعضاً من حقوقها. (AGNOSTICISM)

وأرجح الظن أن هذه الحالة استهدفت عرقلة مرور الأملاك عن طريق الزواج من عشيرة إلى أخرى، وبالتحديد من العشيرة الأصلية للزوجة إلى عشيرة زوجها.

كما سبق وأن نوهنا إليه كان انتماء المرأة أو الزوجة إلى رب الأسرة وليس إلى المجتمع. وكان الانتماء داخل الأسرة كالتالي: الابنة للأب، الزوجة للزوج، المرأة غير المتزوجة واليتيمة إلى أقرب شخص لها عن طريق الأب. وجميعهم انتموا إلى رب الأسرة. وأحياناً كان يحصل في المجتمع الشيشاني أن تتم مقايضة النساء سلعا ضمن صفقات متبادلة، وكن يُخطفن من بيوت أهلهن ويؤخذن أسرى أو غنائم حرب.

وهكذا وعلى فترات نشأت أشكال جديدة للزواج مثل الخطف، أو الشراء، أو بطريقة الاتفاق. واحتفظ بهذه الأشكال الثلاثة القديمة للزواج بعض الشيء في حياة الشيشان العادية إلى زمن ليس ببعيد. إنما فقط في أيامنا هذه، وبسبب تغير جذري طرأ على علاقات الزواج الأسرية، اتخذت أشكال الزواج أساليب أخرى.

أما داخل المنزل فقد كانت الزوجة ربة بيت كاملة السلطة. إذ تحررت من الأعمال الصعبة والخطرة، وكرست نفسها كلياً للأسرة، ولتربية الأطفال، والنسج، والخياطة. وكانت لقاطة النسج وإبرة الخياطة بالنسبة لها تماماً كالفأس والمحراث بالنسبة للرجل. وكتب ف. أنجلس بهذا الخصوص قائلاً:- " إن واحداً من أسخف الآراء التي ورثناها عن عصر التنوير (النهضة) في القرن الثامن عشر، هو الرأي القائل بأن المرأة كانت في بداية تطور المجتمع أقرب إلى أمة للزوج. وبالنسبة للشعوب التي توجب على نساها العمل بجهد أكبر من المفروض عليهن، حسب تصوراتنا أبدت هذه الشعوب للمرأة من الاحترام الحقيقي، أكثر بكثير مما تقدمه شعوبنا الأوروبية " (٢).

- 
- (1) كوسفين م. / اتنوغرافيا وتاريخ القوقاز ، دراسات ومواد ، ص ٣٨ ، موسكو ، ١٩٦١  
(2) ماركس ك. ، أنجلس ف. / مؤلفات مختارة ، مجلد ٣ ، ص ٢٤٩-٢٥٠ ، موسكو ، ١٩٥٧

ومن المناسب أن نتذكر هنا أيضاً كلمات الكاتب الجورجي البارز في القرن التاسع عشر، أ. كازبيجي. KAZBEGI A. ، الذي عرف عادات وطباع الشيشان بشكل جيد، حين قال :-  
المرأة الشيشانية من أكثر النساء حرية، ولهذا فهي أكثرهن أمانة وإخلاصاً. مع أن لها حق الاختلاط بحرية مع الرجال " (١).

كان تماسك الأسرة الشيشانية قوياً، وراسخاً، لدرجة أنه لم يطراً عليها أي تفرق أو انشقاق عند موت رئيسها. وحيث لم يسمح للمرأة حسب عادات الشيشان القديمة تولي شؤون الأسرة أو العائلة وإدارة أمورهما. لذا أنيط بالإشراف والوصاية والعناية على أسرة المتوفى وعلى الزوجة إلى أقاربه. واستطاعت الزوجة دائماً وكحق مألوف لدى الشيشانيات الابتعاد عن زوجها،

مسوية بذلك معه علاقاتها المادية المتبادلة. إلا أنها كانت تُوفي الغرم (ЯШАЦАЛЛА) عند ذلك إذا كانت مغادرتها لبيت زوجها تعني الاستخفاف به والنيل من قدره، وفي هذه الحالة تسترجع إليها ممتلكاتها. ومن جهة أخرى كان الزوج أيضا يدفع الصداق (ЯШАЦАЛЛА) إن هو طلق زوجته دون عذر مقبول.

وفي سياق الحديث عن نظام الأمومة MATRIARCH أو سلطة الأم، فنحن لا نعرف تفاصيل نشوء هذا النظام لدى الأجداد البعاد لشعب الوائناخ، الذي شغلت بموجبه المرأة دور رئيس العائلة، وهل وجد هذا النظام عموما لديهم أم لا؟ لكن تحليل واستبيان بعض المعطيات يخبرنا كثيرا من الأشياء. فالشيشان يقولون حتى في أيامنا هذه تسين نانا ЦИН НАНА ، أي ربة أو أم النار، (وثنيتها بالشيشانية تعني النار) ، ولكنهم ما قالوا ولا يقولون تسين دا (رب أو أب النار). ومع تطور المجتمع وظهور المساكن والبيوت ظهرت اصطلاحات أخرى مثل :- ثنا (بيت)، ومنه تسين نانا، أي ربة البيت، وتسين دا ЦИН ДА ، أي رب البيت. وهذه الميزة التي لا تكاد تُذكر تبين لنا، أنه في وقت ما كانت الهيمنة في المجتمع الشيشاني للنساء. وبناءا عليه من الضروري جداً الإشارة إلى الحكم الدقيق التالي: إذا قُتلت المرأة وجب على القاتل دفع غرامة والتعويض عن ذلك بمنزليين. وإذا أهينت تضاعفت الغرامة. ويجدر القول بأن المواطنة الصالحة الحكيمة والتي كانت تحظى بالاحترام العميق في المجتمع الشيشاني، وكذلك المقاتل الشجاع، كانا ولا يزالان يُذكران باحترام في الحكايات والأساطير وفي الأغاني الشعرية والمحفوظة دوماً في ذاكرة الشعب.. نشاهد فيها تلك الفتاة الأنوف، صاحبة العزم، التي استطاعت احترام نفسها وصون ذاتها في كل الظروف، وإرغام الآخرين على احترامها. وكقاعدة عامة كان الزواج عند الشيشان يتم بعد تعارف تمهيدي بين الشاب والفتاة في مناسبات عامة كـ بلخي(2) БЕЛХИЙ ، وفي الأعراس والحفلات. أو بالاتفاق بين الطرفين على لقاء خاص، يجري عادة في منزل أحد أقارب الفتاة. ولم يعرف الشيشان عملية الخطبة. إنما وُجدت لديهم عادة الخطف، أو كما يسميها البعض الخטיפفة. والخטיפفة كانت تحدث في الغالب بموافقة الفتاة نفسها. وأحيانا كان يتم الخطف رغما عنها، إلا أنه اعتبر هذا قسوة وإجحاف كبيرين وتعد صارخ على حرية الفتاة من قبل شخص لا تعرفه، ولا تريد الزواج منه. أما في أعمالها المنزلية فتمتعت المرأة بسيادة تامة، والزوج لم يملك الحق بتاتا في التدخل في شؤون الزوجة البيئية. وتجدر الإشارة بأن وضع المرأة في الأسرة الشيشانية قد تغير مع اعتناق الشيشان للدين الإسلامي.

كان على الشيشاني أن يراعي بحزم الواجبات السلوكية والأدبية تجاه أطفاله، وعكس ذلك تعرض الأب لإدانة عامة وجلب العار على أسرته. أما الابن البالغ فقد استطاع تنظيم أسرته واقتصاده الذاتي، أو كما يقول الشيشان-استطاع أن ينفرد بنفسه وأحواله (بيه-والا) ВАЛЛА (BE-WALLA).- إلا أن الأب هو الذي أدار ووجه أسرته وأبنائه كما رآه مناسبا. وما دام الأب على قيد الحياة فلم يكن للابن حق التصرف بالأموال ولا بأفراد العائلة دون معرفة وإذن الأب.

وعلى هذا النحو أعطى قانون حق الملكية للأب والزوج سلطة لا محدودة داخل الأسرة أو العائلة الشيشانية. وبناءا على ذلك غدت الأسرة " صورة مصغرة للتناقضات الاجتماعية، التي نمت فيما بعد نموا سريعا داخل المجتمع والدولة " (٣).

وخلال السنوات المائة الأخيرة بدأت هذه الأسرة البطريركية في البلاد الشيشانية بالتحلل والتفكك ببطء، حتى جاءت ثورة عام 1917 ، وفجرتها من جذورها.

- 
- (1) كازبيجي / جريمة ، دار الفجر للنشر ، تفليس ، ص ١٢٨ ، ١٩٥٧
- (2) بلخي : عبارة عن أوقات عمل تطوعي ، يساعد فيه الناس بعضهم البعض ، وهي من العادات التي لا تزال متبعة حتى الآن عند شيشان القوقاز (المترجم)
- (3) أرشيف ماركس وانجلس ، ج ٩ ص ٣١ ، دار الطباعة السياسية الحكومية ، موسكو ، ١٩٤١

### القسم الثالث

#### العشيرة الشيشانية

#### ТАЙП ( تايب )

تدل مختلف المصادر والموارد التي كانت قيد الدراسة ، أنه قد تشكلت في بلاد الشيشان خلال القرنين السادس عشر والسابع عشر تسع قبائل (أنظر ملحق رقم ١أ) ، وهي حسب الترتيب الأبجدي الشيشاني لها وباللغتين الشيشانية والإنجليزية- :

АЬККХИЙ АЕQКНІ **أقي**  
МАЬЛХИЙ МАЕLКНІ **مالخي**  
НОХЧМАХКАХОЙ НОКНСН МАКНКАКНОІ **نوختش ماخكخوي**  
ТИЕРЛОЙ TERLOI **طيرلوي**  
ЧАЬНТИЙ ТЧАЕНТИ **تشانتي**  
ЧИЕБАРЛОЙ ТЧЕВАРЛОІ **شيبارلوي**  
ШАРОЙ SHAROІ **شاروي**  
ШУОТОЙ SHOTOI **شوتوي**  
ЭРШТХОЙ ERSHTKHOI **يرشتخوي**

والقبيلة الشيشانية ( نُوفومُ بالشيشانية – ТУКХУМ (ТОQОМ) ) هي عبارة عن اتحاد اقتصادي وحربي لعشائر محددة ، لا يرتبط أعضاؤها فيما بينهم بصلة القرابة بالنسب، بل بين هذه العشائر رابطة أعلى درجة، تهدف المشاركة والاتحاد من أجل حل المسائل العامة وفي مقدمتها مسائل الدفاع ضد الخطر الخارجي ومسائل التعامل الاقتصادي. شغلت القبيلة أراض معينة من المناطق التي كانت تسكن وتعيش فيها عشائرها الفعلية بالإضافة إلى مناطق مجاورة تقطنها العشائر التي دخلت ضمن نفس القبيلة . وجميع هؤلاء مارسوا الصيد وتربية الماشية والفلاحة . واختلفت اللهجات نوعا ما من قبيلة لأخرى . فمثلاً يلفظ التشيبيرلوي الكلمات التالية كالتالي : أسا ألو ( АСА АЛУ أنا أقول ) ، أسا ملو АСА ( МАЛУ أنا أشرب ) ، أسا دؤ ( АСА ДАУ أنا أكل ) . بينما نرى الأقي يلفظونها بقليل من

التغيير وعلى الشكل التالي : أس أو لو - AC ОЛУ أس مؤلو - AC МОЛУ أس دُووُ AC ДУУ على التوالي.

وإذا تناولنا العشيرة والقبيلة من خلال ديناميكيتهما التاريخية ، فإننا لا نلاحظ فرقا بينهما سوى في العدد أو الكمية . فالعشيرة شأن القبيلة استطاعت وفي تسلسل معين إنجاز مهامها ومهام جميع الأفرع المنبثقة عنها بشكل تام.

يكتب حجي مراد خشايف قائلاً " :- تبين لنا من الوثائق التي درسناها ، أنه استطاع الانضمام إلى القبيلة الداغستانية ليس الأقارب فحسب ، وإنما أيضا أشخاص من قبيلة أخرى . كما يتبين لنا بأن القبيلة في القرن التاسع عشر لم تعرف لا المجتمع الإنتاجي ولا المجتمع الاستهلاكي " . وطور المؤرخ خشايف فكرته السابقة يقول : " أن القبائل ربما أخذت أسماءها من أسماء المناطق التي تقطنها . وأنه لم تقم بين أفرادها أية مساواة أو عدالة اقتصادية أو سياسية. " تنبغي الإشارة إلى أن قانون الأخذ بالثأر كان إجراء إلزاميا داخل القبيلة الشيشانية، حيث كان يجب أن يعاقب بصرامة (بالقتل) كل قاتل من أي عشيرة كانت . فلم تجر آنذاك إجراءات الصلح أو المسامحة . كما ولم يمنع الزواج بين أفراد القبيلة الشيشانية نظرا لانعدام القرابة بالنسب (بالدم) بين أفراد القبيلة . وعلى غرار العشيرة فالقبيلة لم تخضع لرئاسة زعيم . حتى أنه لم يكن لها قائد حربي . ومن هنا نلاحظ بأن القبيلة لم تكن تلك الهيئة الإدارية أو القيادية ، بقدر ما كانت منظومة اجتماعية . وأن العشيرة كانت فعلا مرحلة ضرورية ومعقولة للتقدم نحو تطوير فكرة القيادة والإدارة.

إن ظهور اتحاد العشائر (القبيلة) لا شك لعب دوراً تقديمياً في عملية نشوء الأمة ، مع أن الميل إلى التقسيم المحلي (الموضعي) إلى عشائر استمر على حاله. كان مجلس الشيوخ هو الهيئة الاستشارية للقبيلة . وتآلف هذا المجلس من ممثلين عن جميع العشائر الداخلة ضمن القبيلة المعنية ، والذين تمتعوا بحقوق متساوية من حيث الوضع والاحترام. وكان المجلس العشائري يجتمع في أوقات الضرورة لمعالجة المسائل العشائرية والآراء المتباينة والمناقشات العامة وذلك من أجل حماية مصالح كل عشيرة ومصصلحة القبيلة إجمالاً .

جاء بعد المجلس العشائري مجلس البلاد ( МЕХКАН КХЕЛ المجلس العام) . شارك هذا المجلس في عمله إلى جانب نبلاء العشيرة رجال الدين أو الكهنة . وبهذا الخصوص يذكرنا المؤرخ ف. فينوغرادوف قائلاً " : ليس من الصدفة تزيين وزركشة الأماكن التي كانت تُعقد فيها المجالس اجتماعاتها برموز وشعارات دينية " (١). وأن قمة جبل قخينتاش-كورتُ KХЕТАШ КОРТА في منطقة إثنسكرييا (الجبالية) يعتبر واحداً من أكثر الأماكن المؤثرة ، الذي كان المجلس العام يعقد فيها اجتماعاته. وهذا الجبل المقدس يقع قرب بلدة تسونترروي أو تسينترروي الكبيرة، التي انعكست من تسميتها بالذات الثقافة الدينية وشعائرها القديمة لتقديس وتبجيل النار (ثسية)\* . نوقشت في المجلس العام الأوضاع الخاصة وعادات وتقاليد مختلف المناطق ، واعتمادا على جدواها الاقتصادية والحقوقية تم المصادقة عليها كسلطة ونظام لعامة الشعب و تعميمها في الحال . ومن سلطات مجلس الشيوخ إعلان الحرب وعقد معاهدات السلام وإجراء مختلف المحادثات عن طريق المبعوثين المحليين والأجانب ؛ إضافة إلى عقد تحالفات وفسخها.

ينبغي الجزم من كل ما سبق بأن مفهوم كل من القبيلة والعشيرة ( في الحالة قيد الدراسة ) بعيد عن التماثل أو التطابق . ونورد هنا ما نوّه به الشيخ إيغيش من عشيرة بجاقلوي

ПХЪАВВЛОЙ، والذي تجاوز التسعين بأربعة أعوام من عمره حيث قال : - " يوجد بين الاصطلاحين فارقان رئيسيان؛ إذ تعبر العشيرة عن التماسك والتضامن مستندة بذلك إلى جد واحد ، حتى ولو كان هذا الجد أسطوريا (خرافيا) كما أنها تستند إلى وحدة القرابة الجوهرية (بالدم) بين أفرادها . بينما تستند القبيلة إلى تماسكها الإقليمي ولهجتها اللغوية " ( ٢ ) . (وبناءً على ذلك فالقبيلة - ليس اتحاد أقارب بالنسب بقدر ما هي أخوة وتضامن وتكوين طبيعي نشأ من التنظيم العشائري . وبذلك فهي أي القبيلة عبارة عن رابطة أو مجموعة تتألف من عدة عشائر تكاثفت ضمن اتحاد قبلي واحد من أجل تحقيق أهداف معينة.

ومن جهة أخرى توجد في بلاد الشيشان اتحادات عشائرية قريبة على بعضها بالنسب ، تشكلت إثر انقسام إحدى العشائر الأولية . ومن الأمثلة عليها قبيلتا تشانتي و طيرلوي . ومن المجموعات القريبة وراثيا والتي تسمى نفسها جار( ГАР بالجيم المصرية) أي البطن والتي دخلت ضمن قبيلة طيرلوي: بوشني BOESHNI БОШНИЙ ، بعافلوي БИВЛОЙ ، نيكاروي ВАНВЛОЙ ، نيكاروي НИКАРОЙ NIKAROY ، أوثنني ОУШНИ OESHNI ، سائخوي САНАХОЙ SANAKHOY ، شيوئدي ШУЪНДИЙ SHOENDI ، إيثنبحارخوي .. ЭЛТПХЪАХОЙ ELTP'HARKHOY وغيرها.

يتكون المجتمع الشيشاني من أكثر من ١٣٥ عشيرة ، اتحدت معظمها في منتصف القرن التاسع عشر في تسع اتحادات عشائرية (قبائل) ، على النحو التالي باللغتين الشيشانية والإنجليزية :

### أولا : قبيلة أقي - (AQKHI) АЪККХИЙ وتتكون من العشائر الآتية:-

١. بارتشأخوي ВАРТШАКНОЙ БАРЧАХОЙ
  ٢. بحارتشأخوي Р'НАРТШАКНО ПХЪАРЧАХОЙ
  ٣. بحارتشوي ПХЪАРЧОЙ Р'НАРТШО
  ٤. جيفي ЖИВОЙ JIVOY
  ٥. زعوجوي ЗЮГОЙ Z'HOGOY
  ٦. نوقي НОККХОЙ NOQKHOY
  ٧. ويبي ВАЪППИЙ WEPPI
- وتقطن هذه العشائر في الغالب المنطقة الشرقية من بلاد الشيشان بالقرب من حدود الداغستان.

-كلمة نسيه تعني بالشيشانية النار وتسين تعني النظيف . وقد اشتق اسم العشيرة والبلدة منها كمكان نظيف تقام فيه العبادة -عبادة النار آنذاك.

- (1) ف. فينوغرادوف / ليست الآلهة أبدية ، إنما الأبدى هو الإنسان . دار الطباعة والنشر لجمهورية الشيشان - إنجوش ، غروزني، ١٩٦٩ (المترجم)
- (2) المعهد الشيشاني للأبحاث العلمية في التاريخ واللغة والأدب ، رقم ٢٧٢ ، ١٩٣٣

### ثانيا : قبيلة مالخي - (MA'LKHI) МАЪЛХИЙ وتتكون من العشائر الآتية:-

- بعاستي БІАСТІЙ B'AASTI  
بعيناستخوي БІЕНАСТХОЙ B'ENASTKHOY  
إتالتشخوي ИТАЛЧХОЙ ITALTCHKHOY

КАМАЛХОЙ KAMALKHOI كَمَالْحُوِي  
 КХОРАТХОЙ QKHORATKHOI قَحُورَاتْحُوِي  
 МИШИЙ MISHI مِيْشِي  
 САКАНХОЙ SAKANKHOI سَكَنْحُوِي  
 ТИЕРАТХОЙ T'ERATKHOI طِيْرَاتْحُوِي  
 ЧАРХОЙ TCHARKHOI تَشَارْحُوِي  
 ИРХОЙ IRKHOI اِيْرْحُوِي  
 IAMХОЙ A'MKHOI عَامْحُوِي  
 КИЕГАНХОЙ K'EGANKHOI (الجيم مصرية) كِيْجَانْحُوِي  
 وتقتن هذه العشائر في الغالب جنوب غرب بلاد الشيشان قرب حدود الشيشان مع خُفسوريثبا  
 (في جو رجيا) والإنجوش.

### **ثالثا : قبيلة نُوحْتَشْ مَخْخُوِي** НОХЧМАХКАХОЙ

(НОКНТЧН\_МАКНКАКХОЙ) وتتكون من اتحاد العشائر التالية:-

- ) АЙТКХАЛЛОЙ AITKALLOI أَيْتْكَالْوِي  
 БЕЛГИАТОЙ BELGHATOI بِيْلَغْتُوِي  
 БЕНОЙ BENOI بِيْنُوِي  
 БИЛТОЙ BILTOI بِيْلْتُوِي  
 ) ГЕНДАРГЕНОЙ GENDARGENOI جِيْنْدَرْجِيْنُوِي (أحرف الجيم مصرية  
 ГИОРДАЛОЙ GHORDALOI عُورْدَالُوِي  
 ) ГУНОЙ GOONOI جُوْنُوِي (الجيم مصرية  
 ЗАНДАКЪОЙ ZANDAQOI زَانْدَقُوِي  
 ИХИИРХОЙ IHIRKHOI اِيْهِيْرْحُوِي  
 ИШХОЙ ISHKHOI اِيْشْحُوِي  
 КУРШАЛОЙ KOURSHALOI كُوْرْشَالُوِي  
 СЕСАНХОЙ SESANKHOI سِيْسَانْحُوِي  
 ЧЕРМОЙ TCHERMOI تَشِيْرْمُوِي  
 ЦОНТАРОЙ TZONTAROI تْسُونْتَرُوِي  
 ЧАРТОЙ TCHARTOI تَشَارْتُوِي  
 ЭГИАШБАТОЙ EGHASHBATOI اِيْغَشْبَاتُوِي  
 ЭНАКХАЛЛОЙ ENAQKHALLOI اِيْنَاقْخَالُوِي  
 ) ЭНГАНОЙ ENGANOI اِيْنْجَانُوِي (الجيم مصرية  
 ЯЛХОЙ YALKHOI يَالْحُوِي  
 ) IАЛИРОЙ ALEROI اِيْلِيْرُوِي (عَلْرُوِي  
 \* ДЫШНИЙ DISHNI دِيْشْنِي  
 \* ЭРСАНОЙ ERSANOI اِيْرْسَانُوِي  
 ..وغيرها

وتقتن هذه العشائر في الغالب المناطق الشرقية وشمال الشرقية وجزء من المناطق الوسطى

لبلاذ الشيشان.

\*أحمد سليمانوف / أماكن استيطان الشيشان- إنجوش ، ج ٢ ، ص ٢١٦ ، ١٩ (المترجم)  
(1)الأستاذ شمس الدين عبد الرزاق

**رابعاً : قبيلة تشيبارلوي** – ЧИЕБАРЛОЙ (TCHIBARLOI) وتكونت من اتحاد العشائر الآتية:-

دُعَاي د'AI ДИАЙ  
مَكْجُوِي MAKAJOI МКАЖОЙ  
سَادُوِي SADOI САДОЙ  
سَنَدَخُوِي SANDAKHOI САНДАХОЙ  
سَيَقُوِي SEKQOI СЕККХОЙ  
سِيرْخُوِي SIRKHOI СИРХОЙ  
زِيُورْخُوِي ZYOURAKHOI \* ЗЮРАХОЙ  
وتسكن هذه العشائر في الغالب المناطق الجنوبية الشرقية على ضفاف نهر شارا - أرغون في بلاد الشيشان .

**خامساً : قبيلة شاروي** - SHAROI وتتكون من العشائر الآتية:-

كِيَنخُوِي KINKHOI КИНХОЙ  
رِيَجخُوِي RIGAKHOI РИГАХОЙ  
خِيخُوِي KHIKHOI ХИХОЙ  
خُوِي KHOI \* ХОЙ  
حَكْمَدُوِي HAKMADOI ХЬАКМАДОЙ  
شِيَقْرُوِي SHIQAROI ШИКЪАРОЙ  
وتسكن هذه العشائر في المناطق الجنوبية الشرقية على ضفاف نهر شارا – أرغون في بلاد الشيشان.

**سادساً : قبيلة شوئوي** - (SHOTOI) ШУОТОЙ وتضم هذه القبيلة العشائر الآتية:-

وَرَنْدُوِي VARANDOI ВАРАНДОЙ  
وَسَنْدَرُوِي WASHANDAROI ВАШАНДАРОЙ  
غَاثُوِي (غاثي) GHATTOI (ГЯТТИЙ) \*)  
كِيَلُوِي KELOI КЕЛОЙ  
مَارْسُوِي (مارسلوي) MARSHOI (МАРШАЛОЙ) \*)  
نِيَجْلُوِي NIGALO НИЖАЛОЙ  
نِيَخْلُوِي (تشيخوي) NIKHALOI НИХАЛОЙ \*\*)  
بَحَامْتُوِي PA'HMTOI ПХЪАМТОЙ  
سُتُوِي SATTOI САБТТОЙ  
حَكُوِي HAKKOI ХЬАККОЙ  
حَلْعُوِي-سَانُوِي-تومسوي-بورزخوي , ТУМСОЙ , САНОЙ , ХЬАЛГЮЙ \*\*\*

## (БОРЗОЙ)

وتقطن هذه العشائر في المناطق الوسطى لبلاد الشيشان على ضفاف نهر تشانتي- أرغون.

**سابعا : قبيلة إيرشئخوي (ايرسئخوي) - (ERSHTKHOI) Эрштхой** (وتتكون من العشائر الآتية:-

جالوي (الجيم مصرية) GALOI ГАЛОЙ  
عندلوي GHANDALOI ГАНДАЛОЙ  
عرتسوي GHARTCHOI ГАРЧОЙ  
ميرجوي MERJO МЕРЖОЙ  
موجوي MOUJAKHOI МУЖАХОЙ  
تسيئتسوي TSE-TCHOI ЦИЕЧОЙ

-\*حسب معطيات أحمد سليمانوف تنتمي هاتان العشيرتان إلى قبيلة تشيبارلوي ( المترجم)  
\*\*-كما جاء لدى أحمد سليمانوف (المترجم)  
-\*\*\*أحمد سليمانوف / أماكن استيطان الشيشان-إنجوش ، ج ٢ ، ص ١٦٣ ، ١٩ ، ( المترجم )  
وقطنت تلك العشائر المنطقة الغربية لبلاد الشيشان على ضفاف نهر مارتان الأسفل  
(فورتنجي) . وبقية عشائر هذه المنطقة اتحدت في روابط قريبة بالنسب لتكون قبيلتي تشانتي و  
طيرلوي.

**ثامنا قبيلة تشانتي – (TCHANTI) ЧИАНТИ** ومنها العشائر الآتية :-

بورزي (بورزوي) BORZOI БОРЗОЙ )  
بوغروي BOUGHAROY БУГИАРОЙ  
خيل ديجرخوي KHILDEHARKHOI ОЙ ХИЛДЕХЪАРХ  
قخوقخادوي QKHOQKHADOI КХОКХАДОЙ  
حشاروي ХЪАЧАРОЙ \*НАТШАРОЙ  
تومسوي TOOMSOI ТУМСОЙ  
دويرخوي DOERAKHOI ДОБРАХОЙ  
زومسوي ZOOMSO ЗУМСОЙ \*\*  
وتقطن هذه العشائر في أعلي نهر تشانتي - أرغون

**تاسعا : قبيلة طيرلوي – (TERLOI) ТИЕРЛОЙ** ومن عشائرها:-

نيقروي NIQAROY НИҚАРОЙ  
اوشني & nbsp; ОШНИ  
شيوندي SHUENDI ШУЪНДИЙ  
إيلت بحارخوي ... ELTPARKHOI ЭЛТПХЪАРХОЙ وأخرى غيرها.

\*حسب معطيات أحمد سليمانوف هذه العشيرة مستقلة ولم تدخل ضمن قبيلة (المترجم)  
\*\*أحمد سليمانوف

كما ذكرنا أعلاه فأمر القبيلة كمؤسسة كانت تحل عن طريق مجلس كبار السن ، الذي كان يعقد كلما كان ضرورياً، حسب ما كانت تراه القبيلة . إلا أن القبيلة لم تكن لها أية وظيفة قيادية فيما يخص العشيرة رغم كونها (القبيلة) قائمة ضمن التنظيم الاجتماعي ككل ؛ وتتمتع بصلاحيات محدّدة مفيدة أكثر مما تتمتع بها العشيرة ، تُستخدم عند الضرورة لحل مشاكل قد تطرأ عند أي تنظيم داخل المجتمع .

وهكذا كانت العشائر تتحد معا في قبيلة عند اللزوم ، خصوصا عند حل المشاكل والنزاعات المختلفة سلمياً ، والوقوف معا في قضايا الدفاع عن البلاد وخطر التهديد الخارجي . وهذا الاتحاد اتخذ صبغة جغرافية قبل كل شيء .

كما أننا نرى بأنه مع توسع العشيرة وكبرها انقسمت إلى فروع أو بطون ، التي أصبحت فيما بعد تكون عشائر بحد ذاته . وأصبحت العشيرة الأصلية الكبيرة على مستوى قبيلة (اتحاد بطون أو عشائر) كقبيلة تشانتي . ЧИАНТИЙ والعشائر الجديدة نشأت على أساس أن أفرادها هم السكان الجذريين للمناطق التي يقطنونها ، إضافة إلى القادمين الجدد . لذا يعتبر التايب أو العشيرة - هو ذلك المقر الرئيس ، الذي يعتبره أي شيشاني منشأً أصلياً لعلاقة القرابة بالدم عن طريق الأب . فعندما يريد الشيشان التأكيد على غياب الأصل لأحدهم عادة يقولون " : تسو ستجا تايبا ء توقوم ء دانس ЦУ СТЕГАН ТАЙПА А ТУКХАМ А ДАЦ " أي بما معناه - ليس لهذا الرجل لا أصل ولا فصل.

إذا فما هي العشيرة الشيشانية وما هي الأسس الاجتماعية - الاقتصادية التي تحدد الوضع القانوني لها ؟

العشيرة الشيشانية - هي مجموعة من الناس أو العائلات نشأت على أساس علاقات إنتاجية بدائية ( كما هو الحال عند الهنود الحمر القدامى / ل . مورغان - المؤلف ) . إن ماهية المؤسسة العشائرية، حسب بعض المفكرين، يجب البحث عنها ليس في العلاقات الأيديولوجية ( حقوقية كانت أم دينية ) ، ولكن في العلاقات المادية. وبالذات على أساس هذه العلاقات المادية بين الناس ظهرت العلاقات الحقوقية والدينية وغيرها في التكوين العشائري للشيشان ، مع كل ما صاحب ذلك من خصائص وميّزات.

تمتع أعضاء العشيرة الشيشانية والمرتبطين مع بعضهم البعض برابطة قرابة الدم عن طريق الأب بحقوق شخصية متساوية . أما الجذور الحقيقية لبداية العشيرة فلم تكن سوى الحرية والمساواة والأخوة ، على الرغم من أنها لم تكن موضوعاً أو محددة من قبل أحد . وهكذا كانت العشيرة - هي أساس تنظيم المجتمع الشيشاني .

إن البناء العشائري الشيشاني ( والحديث يعود إلى فترة الدراسة، والتي تعود إلى ما بعد القرن السادس عشر ) ، قام نتيجة التناقضات الداخلية الكامنة، التي كان لحد الآن ينظر إليها كوحدة راسخة لا تتزعزع، ذات علاقة بالأسس الحقوقية البدائية للتنظيم العشائري (تايبيزم)، والتي دعمت البناء العشائري قديماً وحفظته من التفكك ظاهرياً .

إن تلك الأشكال والأسس القديمة كانت قد دخلت في تناقضات مع نفس تلك الاندفاعات نحو التملك - الاجتماعي ، التي أخذت وتآثره تتسارع ضمن خلايا العشيرة الواحدة . علماً بأن الغطاء الحقوقي (القضائي) للهينات العشائرية لم يكن يتوافق بعد والتركيبية التملكية للمجتمع . إلا أنه من جهة أخرى كان هناك سبب آخر مهم خارجي المصدر ، لعب دوراً في حماية المجتمع من الاندفاعات الغربية الجديدة وفي المحافظة على توازنه، انطلاقاً من مبدأ " الحق

القديم " . فالعشائر الصغيرة عاشت في تلك الفترة محاطة بجارات أقوى ( جورجيا و قبارطاي وقوميق وغيرهم . (إن طبقة الإقطاع لهؤلاء قد أثرت دائماً بشكل أو بآخر على إرادة أفراد المجتمع الشيشاني، وتدخلت في شؤونهم وحياتهم. وهذه الظروف الخارجية وقبل كل شيء غياب نظام أشكال الدولة لدى الشيشان ، أدى إلى تلاحم العشائر. وأعطى هذا التلاحم أمام الخطر الخارجي شكلاً... نعم فقط شكل، للمساواة، والأخوة، والدفاع عن المصالح المشتركة . هكذا فإن العشيرة من حيث مفهوم الشيشان - عبارة عن مجموعة أفراد من أصل أبوي، لها جذ واحد عام . إن المفاهيم الأربعة المعروفة والمعتمدة للدلالة على الأفرع الثانوية المنبثقة عن العشيرة ، يستخدمها الشيشان منذ القدم للدلالة على مجموعات كبيرة ذات قرابة بالنسب . وهي تعكس اتحاد جغرافي محدد، يضم قبل كل شيء أناساً أقرباء بالدم . أما هذه المفاهيم هي: - فار (حرف الفاء V بالإنجليزية - ВАР (جار) حرف الجيم بالمصرية - ГАР (نيقي) - НЕКЪИЙ - تسا . ЦІА ويقابلها في اللغة العربية على الترتيب : - عشيرة - بطن- فخذ - دار فلان (عائلة) . )

### العشائر الشيشانية الرئيسية حسب الترتيب الأبجدي الشيشاني لها هي كما يلي:

أيتكالوي) أيتكالوي АЙТКХАЛЛОЙ (، آتسالوي АЧАЛОЙ ، بارتشاخو  
 , БАРЧАХОЙ ، بلخوي БЕЛХОЙ ، بلغاتوي БЕЛГІАТОЙ ، بينوي БЕНОЙ ،  
 بيتساخوي БЕЦАХОЙ ، بيلتوي БІЛТОЙ ، بيجاخي (جيم مصرية) БІГАХОЙ )  
 ، بُوغارُوِي بУГІАРОЙ ، وَاَرَانْدُوِي ВАРАНДОЙ ، وِشَانْدَرُوِي  
 , ВАШАНДАРОЙ ، وِیِي (حرف الباء يلفظ p الإنجليزية ВАЪППИЙ (، جالوي  
 (الجيم مصرية) ГАЛОЙ (، غاندالوي ГАНДАЛОЙ ، غارتشوي ГІАРЧОЙ ،  
 غاتوي ГІАТТОЙ ، جيندرجينوي (الجيم مصرية) ГЕНДАРГЕНОЙ (، جيلوي (الجيم  
 مصرية) ГІЛОЙ (، غوي ГІОЙ ، غوردالوي ГІОРДАЛОЙ ، داتاخوي  
 , ДАТТАХОЙ ، دُعَاي ДІАІ ، ديشني ДІШНИЙ ، دُيُورَآخوي ДУБРАХОЙ ،  
 جفوي (حرف الفاء يلفظ V بالإنجليزية) ЖЕВОЙ (، زانداقوي ЗАНДАКЪОЙ ،  
 زُعُوجُوِي (الجيم مصرية) ЗІОГОЙ (، زُومْسُوِي) ЗУМСОЙ وهي نفسها عشيرة  
 بُوغارُوِي- بУГІАРОЙ المؤلف) ، زُورْزاقُوِي ЗУРЗАКЪОЙ ، زيورخوي  
 , ЗЮРХОЙ ، إيشخوي ИШХОЙ ، إيهيرخوي ИХІІРХОЙ ، إيتالتشخوي  
 , ИТАЛЧХОЙ ، كمالخوي КАМАЛХОЙ ، كني КЕІ ، كيلوي КЕЛОЙ ، كولوي  
 , КУЛОЙ ، كورسالوي КУРШАЛОЙ ، كوشنوخوي) КУШБУХОЙ وهي نفسها  
 عشيرة عاليروي- ІАЛІРОЙ المؤلف (، فخارتوي КХАРТОЙ ، كيجانخوي (الجيم  
 مصرية) КІЕГАНХОЙ (، لاشكروي ЛАШКАРОЙ ، مزرخوي МАЗАРХОЙ ،  
 مكجوي МАКАЖОЙ ، مارسالوي МАРШАЛОЙ ، مرجوي МЕРЖОЙ ، مرلوي  
 , МЕРЛОЙ ، معايسنتوي МІАІСТОЙ ، موجخوي МУЖАХОЙ ، مؤلقوي  
 , МУЛКЪОЙ ، ناشخوي НАШХОЙ ، نيجلوي НИЖАЛОЙ ، نيكروي  
 , НИКІАРОЙ ، نيلخي НИХАЛОЙ (، نوقخي) مع لفظ حرفي القاف والخاء معا دون  
 فصل أحدهما عن الآخر) НОККХОЙ (، بينسخوي (حرف الباء يلفظ P بالإنجليزية )  
 , ПЕШХОЙ ، بحامتوي ПХЪАМТОЙ ، بحارتشوي ПХЪАРЧОЙ ، ريجاخوي

(الجيم مصرية РИГАХОЙ ، سادوي САДОЙ ، سَحَنَدوي САХЪАНДОЙ ،  
سيارْبَلوي СЯРБАЛОЙ ، سَتّوي САЪТТОЙ ، سيسانخوي СЕСАНХОЙ ،  
سيرْفخوي (مع لفظ حرفي القاف والخاء معاً) СИРКХОЙ ، (إوْسَنني ОЫШНИЙ ،  
تومْسوي ТУМСОЙ ، تِرْتخوي ТЕРТАХОЙ ، (مع لفظ حرفي القاف والخاء  
معاً) ТУЛКХОЙ ، (ثورْكوي ТУРКОЙ ، خارائشوي ХАРАЧОЙ ، خيرْسنوي  
ХЕРСАНОЙ ، خيلديحارْخوي ХИЛДЕХЪАРХОЙ ، خُوِيْ ХОЙ ، خُولانْدوي  
ХУЛАНДОЙ ، خُوْرْخوي ХУРХОЙ ، حْكَوي ) ХЪАККОЙ وهي نفسها عشيرة  
تسوجانْخوي / ЦЮГАНХОЙ الجيم مصرية - المؤلف) ، تستَسْخوي ЦАЦАНХОЙ ،  
تسيئْتروي ЦИЕНТАРОЙ ، تسيئْتشوي ЦИЕЧОЙ ، حْكَمدوي ХЪАКМАДОЙ ،  
حْتَسْروي ХЪАЧАРОЙ ، حُوْرْكوي ХЪУРКОЙ ، خيموي ХИМОЙ ، خيخوي  
ХИХОЙ ، تشارْتوي ЧАРТОЙ ، تشارْخوي ЧАРХОЙ ، تشيرْموي ЧЕРМОЙ ،  
تثوْنْجاري (الجيم مصرية) ЧУНГАРОЙ ، (ثجارْخوي (أول حرفين يشكلان حرفا واحدا  
باللغة الشيشانية ولا يوجد له مثل في العربية-المترجم ЧІАРХОЙ ، (تجِيْخوي أو تسيئْخوي  
(كما هو الحال فيما سبق ЧИНХОЙ ، (شاروي (شروي ШАРОЙ ، (شيقروي  
ШИКЪАРОЙ ، شيرْدوي ШИРДОЙ ، شونوي ШУОНОЙ ، شيرْدوي (حرف  
الباء يلفظ Р بالإنجليزية ШПИРДОЙ ، (شوئْدي ШУЪНДИЙ ، إغاشبْتوي  
(ЭГІАШБАТОЙ حرف الألف يلفظ ما بين مفتوحا ومكسورا) ، إلسنْجْخوي  
(ЭЛСТАҢЖХОЙ بالنسبة للحرف الأول كما هو الحال في ما سبق) ، إيناخْالوي (حرفا  
القاف والخاء يلفظان معا ЭНАКХАЛЛОЙ ، (إيْجْخوي (الجيم مصرية ЭНГАННОЙ ،  
إرْسْوي ЭРСАНОЙ ، إرْخوي ЭРХОЙ ، يالْخروي ЯЛХАРОЙ ، يالْخوي  
ЯЛХОЙ ، عاليروي ІАЛИРОЙ ، عَمْخوي ІАМАХОЙ وغيرها...

يبلغ تعداد العشائر الشيشانية خلال فترة الدراسة والبحث (مع دقة نسبية) ما يزيد عن مائة  
وخمسة وثلاثين عشيرة . منها أكثر من عشرين عشيرة ليست جذرية . وهذه الأخيرة تكونت من  
ممثلي شعوب أخرى دخلوا والتحموا مع المجتمع الشيشاني منذ فترة طويلة ، وانصهروا فيه  
تحت ظروف متباينة عبر مراحل التاريخ المختلفة . بعضهم أتى إلى بلاد الوايناخ بأنفسهم بحثا  
عن أماكن استيطان ملائمة ، والبعض الآخر بحكم ظروف وأوضاع تاريخية معينة . اضطر  
هؤلاء اتخاذ لغة وعادات وتقاليد ومعتقدات جديدة وغريبة عليهم . ومن الطبيعي أنه لم يكن  
لهؤلاء في أماكن سكنهم الجديدة أي مواقع عشائرية جذرية أو مراعي أو جبال أو مقابر  
(وخصوصا المقابر الشمسية) المستخدمة في دفن الموتى . وهذا الأمر مهم بالنسبة لدراستنا  
حول ما يخص نظرية كون شعب الوايناخ ذو أصل أتنّي نقي تماما .

ومن الجدير بالذكر أنه جرت عملية عكسية أيضاً . فمن المعروف على سبيل المثال بأن  
العائلات الإنجوشية المشهورة مثل أخرييف АХРИЕВ و ليانوف ЛЬЯНОВ و بوروف  
БОРОВ هي من أصل شيشاني من عشيرة ديشني ДЫШНИЙ والعائلات دارتسيجوف  
ДАРТЦИГОВ و بوزورتانوف (БУЗУРТАНОВ هي من نصير-كورت) وعشيرة  
خاوتيف ХАУТИЕВ هي من قبيلة طيرلوي. ТІЕРЛОЙ .

حيث أن كل عائلة تدخل ضمن العشيرة باستطاعتها مع مرور الزمن أن تؤسس نواة لعشيرة  
جديدة عن طريق انقسام العائلة إلى فروع عديدة ، ظهر بناء معقد بمحيط واسع له مركز واحد  
. وعليه تكونت العشيرة الشيشانية في القرن السابع عشر من مجموعات من الأبناء ، والتي

تجزأت بحد ذاته إلى مجموعات أصغر حجماً . وبكلمات أخرى، فالعشيرة، هي عبارة عن اتحاد لمجموعات أقارب ذات جد واحد عام ، مرتبطة مع بعضها البعض على أساس التقسيم إلى درجات القرابة المباشرة والفرعية.

هذا النظام من القرابة النسبية داخل العشيرة يشبه جذع شجرة ينمو باستمرار مكوناً أفرع عديدة . وعملية نمو علاقات القرابة بالدم تعطي في حالة العشيرة الشيشانية خطوط وراثية لأجيال تزيد عن الثلاثين . وفي هذه الحالة حافظ الابن الأكبر فقط على حق وراثته هذا التنظيم . والأبناء الذكور الأصغر سناً فقدت آثارهم عبر ما كانوا يعطون من أفرع في سلسلة الأنساب هذه . وعكس ذلك فإن التفرعات الجانبية المستمرة كان عليها أن تؤدي إلى ظهور كل مجموعات الأسر القريبة بالدم والجديدة منها على حد سواء مع تسمياتها.

إن ممثلي الفرع الرئيسي من القرابة هم الذين يحلون محل مؤسس العشيرة، أما الأبناء الأصغر سناً فهم كخط منفصل يكونون أفرع خاصة بهم ؛ هذه الأفرع التي غالباً سرعان ما تغيب عن النظر . وفي حال موت الأكبر (الابن من خارج الأسرة) فالذي يرث الخط هو الابن التالي من حيث العمر مع بقاء اسم الفخذ على حاله .

خلافاً عن العشيرة ، التي يصعب عليها تسمية جدها الحقيقي الضائع بين الأساطير والحكايات، فإن الفخذ НЕКЪИЙ أو البطن ГАР يستطيع أفرادها دائماً أن يأتوا باسم جدهم الحقيقي . إن كلمة "جار" (الجيم المصرية ГАР) نفسها والتي تعني كما ذكرنا "الفخذ" - والتي هي عبارة عن فرع أو بداية أو ثمرة تدعوننا أن نتساءل : من من ؟ من أيّ منهم ؟ وفي هذه الحالة ممكن تسمية الجد المؤسس وبشكل شخصي ، والذي سُمي الفخذ باسمه وبقي كذلك) أنظر ملحق رقم ٥ . ( ومع زيادة أعداد العشيرة وكبرها مع مرور الزمن تجزأت إلى واحد أو أكثر من الفروع ، وهي التي تسمى "بطون" (جار) ، والتي مع نموها وكبرها أصبحت بدورها عشائر.

لقد بقي الشيء الكثير من مفهوم التطور التاريخي للعشيرة الشيشانية وعلاقتها مع الأشكال الأخرى للتنظيم الاجتماعي موضع نقاش واختلاف في الرأي ، وبحاجة لدراسة وبحث عميق . إن كبار القوم وزعماء الشيشان لم يكن باستطاعتهم دوماً الحصول على أشياء صعبة المنال، أو الوصول إلى نجاحات باهرة، كما ولم يخوضوا غمار مسابقات رومنطيقية . لقد ثمنوا ديموقراطية العشيرة في المجتمع، ولم يزلوا حينها يتخذون شكل الفلاحين المسالمين : كانوا يرعون الخراف في الجبال ، يحرثون الأرض ويزرعونها بأنفسهم . أما مفهوم الشرف العالي، والمساواة، والأخوة، ما بين أعضاء العشيرة كلها ، فقد دخل مرحلة جديدة من العلاقات العشائرية.

## القسم الرابع

### العادات كقاعدة حقوقية للبناء العشائري

تسترشد التركيبة العشائرية الأبوية (Patriarchal) بصفتها معياراً أو قاعدة حقوقية بالعادات والتقاليد . ولا شك بأن العادات والتقاليد ترعى مصالح البناء العشائري هذا . والعادة - حق عادي ، تم وضعه على أساس اقتصادي وعلى أساس أنه قاعدة الحياة اليومية التي تسير عليها القبائل الزراعية المستوطنة وقبائل الرعاة المتنقلة.

وتتناول العادات المسائل التي تمس مباشرة نمط الحياة المعيشي العادي للناس- وتدخل هنا مسائل ذات طابع عائلي ووراثي وجنائي . وعلى هذا النحو تتميز العشيرة بحقوق وواجبات وامتيازات مفروضة على أعضائها وعليهم الالتزام بها تماما ، وهي تطابق بمجملها النظم العامة للمؤسسة العشائرية القضائية .

ماهي القواعد الاجتماعية الإلزامية العامة ، التي وضعتها المؤسسة القضائية للعشيرة الشيشانية أمام أبنائها ؟

هناك ثلاثة وعشرون مبدءاً عاماً وقاعدة سلوكية أساسية وضعتها المؤسسة القضائية للعشيرة الشيشانية . وهذه المبادئ هي:-

- 1-وحدة ومثانة العلاقات العشائرية بين كل أفراد العشيرة
- 2-الحق العام لملكية الأرض : في نهاية القرن السابع عشر وجدت في بلاد الشيشان أراض زراعية امتدت إلى أعالي الجبال . وكانت هذه الأراضي كقاعدة عامة ملكا للعشيرة كلها . إلا أنه جرت وبسرعة عملية تقسيم وزراعة هذه الأراضي بين الأسر والعائلات على انفراد . وتميز ذلك الوقت بسمة تتمثل في تباين عملية تقسيم وتوزيع الأملاك في بلاد الشيشان الجبلية . وتشهد الأمثلة والحقائق التالية على ذلك :- وجود فلاحين دون أرض للفلاحة أو الزراعة ، وجود أشكال من الاسترقاق والاستغلال بالنسبة لاستئجار وتأجير الأراضي والأملاك ، وجود كميات هائلة من المواشي تمتلكها فئات محدودة من الناس
- 3-إعلان الثأر بالدم لعشيرة ما من عشيرة أخرى بسبب القتل أو التشهير العام : في حالة مقتل أي فرد من أفراد المجتمع العشائري اجتمع في الحال مجلس عشيرة المقتول للبحث في الموضوع . وكان أقرب أقارب الميت يشاركون فيه بنشاط . وفي هذا المجلس بحثت سبل وطرق القصاص ودرس الأمر من كل جوانبه . ثم وضعت الحلول اللازمة أو اتخذ قرار للأخذ بالثأر من القاتل . ومن جهة أخرى كانت تجتمع عشيرة الطرف الآخر أي الجاني لدراسة الأمر في مجلسها ، حيث كان يتم تحري الطرق والوسائل المختلفة بغية الوصول إلى حل ما أو صلح مع عشيرة المعتدى عليه . ونادرا ما كانت العشائر تتنازل عن حقوقها ، وتمضي فترة طويلة حتى الوصول إلى حل أو اتفاق مما استدعى مشاركة ممثلين عن عشائر أخرى محايدة . وهكذا يجتمع مجلس القبيلة ( المجلس العام ) ، الذي يأخذ بعين الاعتبار بمطالب طرفي النزاع في وضع شروط الصلح . وتجدر الإشارة إلى أن ظروف القضية وشروطها تباينت تبعا لقوة وموقع هذه العشيرة أو تلك في القبيلة . وعلى سبيل المثال في حال كون المقتول من عشيرة مشهورة ، أو كبيرة ، وجب على ذوي القاتل التعويض بدفع غرامة (دية) لذوي المقتول مقدارها ثلاث وستون بقرة . والإصابة بجرح جراء استخدام سلاح ناري ، كلف الجاني عشرين بقرة . أما محاولة القتل الفاشلة باستخدام سلاح ناري فتطلب من الفاعل ستون بقرة . وعضو العشيرة الصغيرة أو الضعيفة ، التزم بثلاث ما ورد . وإذا كانت النتيجة أن لا صلح بين الطرفين ، فالحق للعشيرة المعتدى عليها اختيار الشخص الذي تريده للأخذ بالثأر . وبطبيعة الحال كان هذا دائما هو نفس الشخص الذي قام بالفعل ، أو كما يقول الشيشان كويج بيخكي ديبرج (بالجيم المصرية) تساء إصتا وإذا ، أي ذو اليد المذنبة . ولم يكن على عشيرة الفاعل (المذنب) سوى الرضوخ للقرار أو لهذا الحل . وبمقتل المذنب تنتهي عملية أخذ الثأر بالدم.
- 4-حظر أو منع الزواج بين أفراد العشيرة الواحدة منعاً باتاً : كانت عادة حظر الزواج ومنعه ضمن العشيرة الواحدة من أكثر عادات الشيشان انتشارا وتجزرا . فيم يكمن سبب هذا المنع أو الحظر؟ يؤكد أصحاب الخبرة والتجارب وذو الحكمة من الناس ، بأن الزواج ضمن إطار

العشيرة لن ينجب نسلا صحيا وقويا، وبذا فلن يكون كثيرا . فالحياة أثبتت سلبيات وعواقب تزواج الأقارب وما لحق النسل والسلالات من تدهور . وأكد آخرون بأن مخالفة قاعدة الزواج بين الأبعاد تترك وراءها أمراضا ومشاكل مستعصية في المستقبل . إن فرض هذه العادة داخل العشيرة لم يتم نتيجة سلطة ما تشريعية أو إجراءات قانونية . ومع ذلك يحاول الشيشان حتى وقتنا الحاضر التمسك بهذا المبدأ الصحيح . ظهرت هناك محاولات لدى بعض العشائر القليلة لخرق هذه العادة، والمبدأ السلوكي للعشائر (وهو الزواج بين الأبعاد)، كعشيرة تسادخروي ضهوبصذخة (TSADAKHROI) ، لكنهم قوبلوا من قبل كافة العشائر الشيشانية باستنكار كبير، وبحملات تصف عملهم هذا بالعار ، وبانتقادات لاذعة، وبمجابها مرة . وقد يسأل أحدهم لماذا يا ترى ؟ الجواب على ذلك بسيط :- لأن الفتاة القريبة عن طريق الأب تعتبر شقيقة لأي شيشاني، من نفس العشيرة ( أو حتى القريبة عن طريق الأم- المترجم ).

ودرجة القرابة بالدم متطورة عند الشيشان لتمتد إلى أجيال بعيدة .. ويتم الحفاظ عليها، أو بالأحرى لا تنفصم عراها حتى الجيل السابع أو الثامن . ويبين الشكل التالي ذلك باللغتين العربية والشيشانية:- \*

درجة القرابة بالدم موضحة باللغتين الشيشانية والعربية:  
العائلة ض<sup>2</sup>  
الأب وه الأمه

الأخ (ابن العم) أبطه قبطه الأخت(ابن العمه)  
ابن الأخ طب×ه طب×ه ابن الأخت  
ابن ابن الأخ جكص×ه جكص×ه ابن ابن الأخت  
ابن السابق آخاصزبذ×ه آخاصزبذ ابن السابق  
الوسيط قتعة×ه قتعة×ه الوسيلة  
عديم اللقب ض<sup>2</sup>×ه خضسداً ض<sup>2</sup>×ه خضسداً عديمة اللقب  
القريب إذاًهذبها إذاًهذبها القريبة  
المسموح له (جائز) تصخ×ه سطاإذاً تصخ×ه سطةإذاً المسموح بها) جائزة)

\*من المعلوم بأن الشيشان والإنجوش يمنعون زواج الأقارب . وهذا يمتد حتى الجيل السابع والثامن كما هو مذكور أعلاه . ومن المعلوم أيضا منذ القدم كون توارث الأمراض يختلف من الزواج بين الأقارب (Inbreeding) والتي تعني قصر الشيء على نطاق ضيق) عنه من الزواج بين الأبعاد (Outbreeding) ، حيث أنه كلما كانت درجة القرابة بين الزوجين أقوى ، كلما زاد معامل(فعالية) الـ . Inbreeding وهذا يعني إمكانية الإصابة بالأمراض الوراثية بشكل أكبر في الأجيال التالية أهمها مرض البلاهة . Idiotism ورغم كون الأب والأم بصحة جيدة ، إلا أن هذا لا يمنع ظهور المرض عند تزواج أولاد وبنات الأجيال التالية . والسبب يكمن في أن كل من الوالدين يحملان الجينات المتغايرة الضامرة Aax Aa التي تنتقل من أحد

الأجداد خلال الأجيال المتعاقبة . ومثل مرض البلاهة هناك مرض عمى الألوان Daftanism ، ومرض النزف الدموي Hemophilia ، وكذلك الخرس والطرش وأنواع مختلفة من البلاهة . ومن جهة أخرى فإن ٢٥% من أمراض العين تنتقل وراثيا . وتوجد بعض الحالات المرضية عند شيشان الأردن نتيجة زواج الأقارب (إلا أنه نادر جدا)، من إصابة الأطفال بالأمراض المختلفة أو حالات وفاة ، وكثير منا لا يدري عن ذلك شيئا ويعتبرونه حدثا عاديا. فعلم الوراثة وعشرات الأمثلة تدل دلالة واضحة لا تقبل مجالا للشك عن صحة وفاعلية زواج الأبعاد كما هو لدى الشيشانة والإنجوش حتى الجيل المذكور . ولو فكر أبناؤنا اليوم بشكل سليم لأدركوا الأبعاد الخطيرة لزواج الأقارب – المترجم، د. أمين شمس الدين)

وحتى بالنسبة لأفراد الجيل السابع والثامن من الأقارب يمنع الزواج فيما بينهم أو الانتقام المتبادل . غير أن مثل هذه الدرجات من القرابة المتسلسلة عبر الأم سمح لأفرادها بالزواج فيما بينهم، وكذلك الحال بالنسبة لأخذ الثأر . إلا أن الزواج بين الأقارب عبر الأم لم ينصح به للأجيال الأول والثاني والثالث.

5-تقديم المساعدة العشائرية لأفراد العشيرة في حالة الفقر أو أية مصائب أخرى: إن بلخي هي واحدة من الأشكال القديمة للمساعدات العشائرية ، والتي بقيت حتى الفترة الأخيرة . وقد نشأت هذه العادة كشكل من تقديم المساعدة بصورة خاصة من قبل الأسر والعائلات الغنية وعائلات ذوي النفوذ ورجال الدين.

6-في حالة وفاة أحد أفراد عشيرة ما ، تشارك بقية العشائر في الحداد وتقديم العزاء : منع منعاً باتاً إقامة الأفراح والحفلات المختلفة في المناسبات الحزينة . استمر الحداد طويلاً عند الأهل والأقارب الجوهريين للمتوفى . أما الآخرون فأنهوا حدادهم بعد مرور فترة زمنية معينة على الوفاة ، أو بعد أخذ السماح والإذن من أكثر الناس قرابة للمتوفى.

7-ترأس العشيرة زعيمها ( تائبانا حالخائنتشا ) زبهذبج صهثصبحxه ، أو كما يقول الشيشان عادة ثحامدا زصهجوّه : كان زعيم العشيرة هو الذي يقود مجلس كبار العشيرة ويشارك في جميع أعمال المجلس . وشكل الزعيم القدوة لأفراد عشيرته يرشدهم أساليب السلوك وفق ظروف الحياة المختلفة. والتزم كل أعضاء العشيرة بتنفيذ القرارات الصادرة عن هذا المجلس . إلا أن القرارات النهائية كانت تعود فقط إلى المجلس العشائري في اجتماع ديموقراطي عام يشارك فيه الجميع.

8-اختيار زعيم العشيرة بموافقة عامة للمجلس العشائري: إن اختيار الزعيم كان يتم بموافقة المجلس العشائري المكون من الرجال كبار السن من أهل الحكمة والمعرفة. ولم تكن الزعامة تحمل صفة وراثية . اختير كل من زعيم العشيرة (حالخائنتشا) صهثصبحxه وقائدها الحربي (باتنتشا) هxهxه ، بناء على صفات ومزايا شخصية فريدة، مثل – الحكمة والبلاغة والشجاعة والإقدام في مختلف الأحوال والظروف . وإن كانت الزعامة تناط إلى الشخص الأكبر سناً في العشيرة، إلا أن مهمة القيادة العسكرية كقانون، سلّمت إلى رجل في متوسط العمر، أو حتى إلى شاب توفرت فيه صفات الرجولة الحقة، والشجاعة، والحنكة القيادية . والمجلس العشائري راعى دائماً وبحزم أنظمة العشيرة ومبادئها الديموقراطية ، محافظاً بذلك على مكانة الزعيم

العام للعشيرة ووظيفته . أما القائد الحربي فكان يستخدم سلطاته وقت الحرب فقط.  
9-مجلس العشيرة الخاص ( شورى العشيرة ) أو تاييانا قيل زبةدهج تصابث: وُجد لكل عشيرة مجلسها الخاص سمي تاييانا قخيل، وتعني – مجلس شورى العشيرة . وكانت كل القرارات النهائية المتخذة من قبل هذا المجلس سارية المفعول على جميع أفراد العشيرة . وكان كل فرد ملزم بشكل مطلق باتباعها . كما أن حلول ونصائح وإرشادات زعيم العشيرة كانت نافذة المفعول.

10-تألف المجلس العشائري المنتخب من الناس الحكماء وذوي الاحترام والوقار من كبار السن ، بغض النظر عن أحوالهم المادية وحجم ملكيتهم : مع أن مهمة عضو المجلس العشائري أنيطت إليه مدى الحياة ، إلا أن استمراريتها في الواقع اعتمدت بشكل كبير على سلوك هذا العضو ونشاطه ، وبقدر ما كان هناك الحق في تنحيته من منصبه وعزله من العضوية.  
11-علنية اجتماعات المجلس العشائري : استطاع كل شيشاني وحسب رغبته التواجد في اجتماعات المجلس، وحضور أعماله، والتكلم فيه، وإبداء رأيه بحرية . أما عند صدور القرارات النهائية في مختلف المسائل فكان حق التصويت لأعضاء المجلس المنتخب فقط.  
12-تمتع جميع أعضاء المجلس العشائري بحقوق متساوية

13-حق العشيرة في اختيار وعزل زعمائها وقوادها الحربيين : في الفترة التي درست كان حق تعيين الممثلين في اجتماع عام للعشيرة تخيلا معنويا فقط ، إذ أن الزعيم في واقع الحال لم يكن ينتخب؛ لكنه كان يبرز بنفسه من مركز قوة ما (هذه أو تلك من الإمكانيات)، وصفات أخرى خاصة به . وكقاعدة عامة كان هذا الشخص من الناس الأغنياء، أو ذوي النفوذ الاقتصادي، ويديه تماما سلطة معنوية. ومع كل ذلك، وكما سبق وأن أشرنا إليه، لم تكن وظيفة الزعيم ذات صبغة وراثية أبدا . إذ استلم مكانه بعد انتهاء مهمته شخص آخر من نفس العشيرة.  
تحمل زعيم العشيرة (ثحامدا) مسؤولية كاملة عن أخطاء وتصرفات عضو عشيرته، ومسؤولية معنوية إذا اتضح أن الحلول التي قدمها للمسائل المطروحة كانت غير سليمة، ولم تؤدي إلى نتيجة ناجحة . وبدوره كان أعضاء العشيرة مجبرون على إطاعة زعيمهم والتقيد التام بقراراته ، بصفته الخادم والحارس الأمين للعشيرة . واحترامه كان واجبا أساسيا.  
أدار الزعيم حياة العشيرة الاقتصادية والحقوقية أيضا . وكان كل فرد فيها وحسب رغبته يسترشد بالزعيم ويبلغه أموره التي بحاجة إلى حل سريع ، كقضايا الزواج وتعديل أو تقسيم المباني والمزارع بين أعضاء العشيرة وفض نزاعات الملكية.. ألخ. وعند اجتماع المجلس العشائري برئاسة الزعيم لم يشترك الشباب ولا النساء في وضح الحلول للمسائل المتعلقة بالعشيرة . وبقيت هذه الظاهرة متعمقة لدرجة وصلت فيها حتى إلى أوائل سنوات السلطة السوفيتية في البلاد . وفي أغلب الأحيان كان يطهر في لقاءات التشاور ومناقشة المسائل وحلها فقط الشيوخ وكبار القوم من العشيرة.

14-انعدام حقوق المرأة عند حل المسائل الحقوقية : ضاع حق المرأة في الرأي والتصويت عند مناقشة وحل المسائل الاجتماعية – السياسية في حياة العشيرة . ومن جهة أخرى تمتعت المرأة بمكانة عالية داخل الأسرة . إلا أن واقع الحال عكس شيء آخر وهو اعتداء على حقوقها المدنية . حيث أدى تدني مستوى المؤسسة الاجتماعية العشائرية وقبل كل شيء إلى انتهاك حقوق المرأة الاجتماعية والسياسية .

وفي الفترة قيد الدراسة – فترة سيطرة الأب المطلقة – كان سيد الوضع هو الزوج ، أما الزوجة فقد خضعت تماما لسلطته اللامحدودة . غير أن قتل المرأة كان عند الشيشان ولا يزال

يعتبر عارا كبيرا إن لم يكن الأكبر ، حيث حُفظت بعض حقوق المرأة المدنية ما عدا حقها في الكلمة والتصويت، على مبدأ المساواة مع حقوق الرجل . فمثلا في حالة تشكل وتكوين بدايات لارتباط عائلي (زواج على سبيل المثال) ، ثم امتنعت أحد الأطراف عن إتمام الزواج وجب إلى الطرف الممتنع دفع غرامة مقدارها ١٢ بقرة . وإن زنت الزوجة وقتل الزوج الاثنين معا فلا ضير عليه ولا ذنب . أما إذا قُتل أحدهما فقط فقد اعتُبر قاتلا ، وتوجب على ذوي المقتول المطالبة بالتأثر . إذا تم إيذاء أو إهانة فتاة أو أرملة دفع المذنب سبع بقرات . ومقابل إيذاء وإهانة المرأة المتزوجة وجب دفع عشر بقرات، ويُنبذ الجاني من المجتمع . وإذا انكشف أمر امرأة غير متزوجة بالتخلص من جنينها غير الشرعي ، أركبت على بغل ووجهها إلى مؤخرته، وقد صبغ باللون الأسود، وسيقت إلى الأماكن العامة تلاحقها صرخات اللعنة والشتائم من قبل الناس .

والمرأة كما ذكرنا أعلاه لم تخرج في حالة زواجها من عضوية عشيرتها . وبذلك نرى بأنها لم تفقد حق وراثتها أبيها . أما أبناءها فلم يرثوا شيئا بعد موت والدها، ذلك أنهم أصبحوا أعضاء في عشيرة أبيهم.

إذا حصل وقام شيشاتي بقتل زوجته وليس لديها أبناء ، وجب عليه دفع غرامة لذويها مقدارها خمس وثمانون بقرة . إما إذا قتلها ولها أولاد فدفع ١٢ بقرة . وعلى العموم قوبل قاتل زوجته باحتقار وازدراء شديدين من قبل المجتمع .

15- حق تبني الأجانب وقبولهم في العشيرة : قبل العشيرة في عضويتها الأشخاص الغرباء باحتفال كبير . وبهذه المناسبة كان المنضم الجديد للعشيرة يذبح ثورا . ويسمى هؤلاء الأشخاص حتى الآن بـ " سئو بينا خلاً وجاري رزس ءبته صبتة أبهذبة " ، أي الذين أصبحوا أخوة بذبح ثور . ولم يشترط على هؤلاء باتخاذ اسم العشيرة التي انضموا إليها لتكون اسما لهم، ولم يرغبوا على ذلك، إنما احتفظوا بأسمائهم حسب انتمائهم الثقافي – المادي والروحي . وكقاعدة عامة لم يحملوا ألقابا أو اسم أب. ومن الأمثلة على ذلك: أب فلان ، فلان العاندي ، فلان القومقي .. وهكذا نسبة إلى أقوامهم الأصلية . أما دلالة النسب عند الشيشان الجذريين فقد انحدرت كقاعدة عامة من أسماء أقرب الأجداد للعائلة . مثال على ذلك : ويسايت ابن أوزدامير من غابي نيقى (أي من الفخذ غابي) . وفي بعض الأحيان يكون اسم العائلة قد أخذ من تسمية العشيرة نفسها . مثال على ذلك : طيرلو ز<sup>2</sup>إذئخ، ميرجو جاذئخ ، جونوأسخ ، ديشني وغطحة .. الخ .

16- انتقال أملاك المتوفى إلى أعضاء العشيرة : قسم إرث المتوفى بين أعضاء أسرته وبين أقرب الناس إليهم . وتجدر الإشارة إلى أن أئمن الأشياء الشخصية للمتوفى كانت تدفن معه (كأدوات الحرب وما شابه) . وحفظ عند الشيشان حق ميراث وامتلاك الأشياء بين ورثة الميت إلى زمن طويل.

17- لكل عشيرة اسمها الخاص مأخوذ من اسم مؤسسها ، وانتمت هذه العشيرة تماما إليه

18- لكل عشيرة إقليمها وجبلها العشائري : مثال على ذلك : دُعاي - لَام (أي جبل عشيرة دُعاي (و لَام تعني جبل بالشيشانية ، وهكذا ديشني- لَام ، ثومسوي - لَام ، بينوي - لَام .. الخ.

19- لكل عشيرة برجها أو قلعتها الخاصة : يكون هذا البرج أو القلعة شيد من قبل مؤسس العشيرة (أنظر ملحقات المترجم) . كان وجود البرج أو القلعة يرمز إلى الأصالة السكانية . والعشيرة التي لم تكن لها قلعة أو برج فقدت حق الانتماء إلى السكان الجذريين لبلاد الوايناخ . وهذا يتفق لدرجة ما مع قانون الشيشان العادي ، إلا أنه تجدر الإشارة بأن البرج أو القلعة لم

ينتمي إلى العشيرة بأكملها ، بل إلى زعيمها قبل كل شيء . إن الدراسة العميقة لهذه المنشآت تظهر بوضوح محاولات الرؤساء الانفراد إقليمياً عن السكان العاديين . وبهذه المناسبة يقول عالم الآثار الشيشاني، عوماروف س.ا. :- " لم يكن في البرج أي شيء ذو تصميم أو اختراع أمكن اعتماداً عليه اعتبار البرج ملكية عامة أو جماعية ، فهو أي البرج يجاور عادة أبراج وبيوت سكنية . وشيدت الأبراج والقلاع في أماكن استراتيجية هامة محاطة بأسوار حجرية ضخمة أو بخندق . \* " أما المؤرخ كوسفين فيصل من خلال عمله في هذا المجال إلى خلاصة يقول فيها " : في تلك المناطق من القفقاس ، التي أنشأت فيها الأبراج الحربية وجدت أنها تنتمي إلى باترونيميا أي إلى فخذ بالذات . بحيث وجد لكل باترونيميا (Patronymic فخذ) برجه الخاص . وفي القرية عدد من الأبراج بقدر ما كان فيها أفخاذ (نيقي. \*\* " ) في الفترة التي درسناها كانت هذه الأبراج الحربية ملكية رئيس المجموعة الصغيرة من الأسر (أقارب في الدم) ، الذين كما سبق وذكرنا يسمون – جار – (بالجيم المصرية) وليس للباترونيميا كلها . من الضروري هنا الإشارة إلى أن معظم هذه الأبراج أو القلاع السكنية والحربية احتفظت بأسماء أصحابها الأساسيين . مثال على ذلك : أوتني غالاً (قلعة أوتني) . و غالاً تعني بالشيشانية قلعة... وهكذا ألدّم غيزي غالاً ، زائتان غالاً .. الخ.

\*-----عوماروف س. ، الآثار

الثقافية للأبراج في الجزء الجبلي لبلاد الشيشان-إنجوش/أرشيف المعهد الشيشاني للأبحاث العلمية في التاريخ واللغة والآداب ، ١٩٧٠  
\*\*كوسفين ، علم الانتوغرافيا وتاريخ القوقاز ، موسكو ، ١٩٦١ . )

ومما يجدر ذكره أيضاً أن بعضاً من ملاكي وأصحاب هذه الأبراج والقلاع كانوا منبوذين من الناس . ويظهر ذلك من الأساطير والقصص الشعبية الشيشانية . مثال على ذلك : أن الأمير سيبا (SIPA) صاحب برج تُسوي – بُعيداً من ضحلة-دصبوه، كان يستغل نفوذه لغايات خاصة، ومنافع شخصية، على حساب الآخرين . فقد كان يستغل إمكاناته لتحقيق مآرب بذئنة مرفوضة من المجتمع ، النتيجة في النهاية كانت انه نال جزاءه بأن قتلته ابن امرأة مسكينة . ومثال آخر: الأمير موتسال صاحب قلعة، أجبر بعض العائلات مثل عائلة تُسوي بُعيدوي، وبشكل قسري على أن ترعى قطيع ماشيته . وهو أيضاً لم ينج من العقاب ومن ثأر وانتقام المواطنين .

يقول إيفانوف م. : " قبل نهاية القرن السابع عشر ، عندما انتهت تقريبا عملية الاستيلاء على جميع المراعي الرئيسية من قبل زعماء الشيشان وغيرهم من الأقوياء وذوي النفوذ ، اشتد بطبيعة الحال استغلال الفئات الفقيرة من الناس من قبل الأمراء الإقطاعيين . وحصل الإقطاعيون المحليين على كل أشكال المساعدات والتغطيات من قبل الملاكين الكبار، من المناطق والبلدان المجاورة " ١ . )

كانت لهذه الوقائع انعكاسات كبيرة ظهرت في الأساطير والقصص التاريخية وفي الأغاني الشعبية الشيشانية ، والتي حفظت بحرص في فكر ووعي الشعب كأدلة دامغة على الحكمة وعلى المعنويات العالية . فمثلاً تتناقل على نطاق واسع الواقعة التالية : " عندما قُتل الأمير خانميد من قرية زينجالا (غالانتشوج) من قبل الفلاحين الثائرين ، تمكن ابنه من الفرار إلى كبارديا (بلاد القبرطاي) . وعاد من هناك على رأس مجموعة كبيرة لأحد أمراء القبرطاي وهزم قاتلي أبيه ، وأعاد الوضع السابق لعائلته كما كان " (نفس المرجع السابق . )

20- لكل عشيرة آلهتها الخاصة وشعائرها الدينية : نستطيع القول دون التطرق إلى الشكل السياسي الرفيع للدين وللشعائر الدينية عند الشيشان ، بأنه في الحقبة التي درسناها كانت الشعائر الدينية لشعب الوايخاخ على علاقة مباشرة لدرجة أو أخرى بالعشيرة نفسها. فالشيشان إلى الآن يقولون : قينخوي ديلا ( رب القينخوي) . و ديلا وإثته تعني باللغة الشيشانية رب أو إله ، وقينخوي هو اسم عشيرة .. وهكذا كيردوي ديلا ، طيرلوي ديلا ، معايستوي ديلا .. أخ .  
21- احتفلت كل عشيرة بأعيادها المرتبطة بآلهتها وشعائرها الدينية احتفلت بمثل هذه الأعياد بشكل منتظم . ومن الأعياد عيد الربيع ، عيد المحصول وغيرها .

(1) إيفانوف م. ، أعالي نهر جبي-خي ، منشورات المجمع الجغرافي الروسي ، مجلد ١٥ ، ج ٤ ، ص ٢٩٥ ، ١٩٠٢ ،

وعادة ما كانت الاحتفالات تقام في الساحات أمام المعابد مثل معبد ثسو ض<sup>2</sup> ، رافقها الأكل والشرب الكثير. وكان كل شخص تقريبا يحضر معه للأعياد كبشا أبيضاً، أو عجلاً صغيراً لنحره . وكانت تصنع في هذه المناسبات البيرة الشيشانية المنزلية ( يبي. )  
22- لكل عشيرة مقبرتها الخاصة : وجد لكل عشيرة مقبرة خاصة لدفن موتاهم من أبناء العشيرة فقط. وتجدر الإشارة إلى أن الزوجة أيضاً دفنت في مقبرة عشيرة زوجها . استمر الشيشان لفترة طويلة على هذه العادة ، إلا أنه مع نمو السكان وزيادة أعدادهم على حساب الأرض حد من هذه العادة وتحولت مقبرة العشيرة إلى مقبرة مشتركة لعشائر عديدة.  
ومع كل ذلك وكقاعدة عامة استمر جميع أعضاء عشيرة المتوفى بالاشتراك في مراسيم دفنه وفي رعاية قبره وإحياء ذكراه.

23- الكرم العشائري الشيشاني : كان على سيد العشيرة ومن أجل الحفاظ على شرف ومجد عشيرته التضحية بكل شيء وبحزم من أجل إكرام الضيف . وتلاقي خدمة الضيف السيئة أو عدم الترحيب به ازدراء المجتمع واحتقاره وانتقاداته . وإذا أهين الضيف وأغضب تعرض المذنب لأقصى أنواع المسؤولية . أما إذا قُتل الضيف فدفن القاتل سبع بقرات للشخص المضيف ، ولذوي المقتول ثلاثاً وستين بقرة ، أو ترتب ثأر للسيد المضيف من القاتل حسب القواعد والقوانين العامة التي كانت متبعة .

شملت هذه البنود الثلاثة والعشرون الرئيسية جميع القواعد والقوانين الأساسية للمجتمع العشائري الشيشاني . وبالإضافة إليها وجدت قواعد وأصول ثانوية التزم بها الأسر والعائلات الشيشانية، منها:- طرق التعامل مع الزوجة أمام الناس وضمن الأسرة - الأساليب المتبعة في التعامل مع الأبناء أمام الكبار أو الصغار ، وأمام الأقارب والغرباء - كيفية التصرف في البيت وفي الضيافة ولدى الآخرين- كيفية التصرف عند لقاء الكبار أو الصغار - كيفية مساعدة الرجل الكبير في السن أثناء ترحله عن حصانه أو امتطائه - طريقة الاعتناء والاهتمام بالضيف وأسلوب الكلام معه- كيفية التنحي عن الجهة اليمنى وآداب الجلوس على الموائد في البيت وفي الضيافة .

تم تداول هذه الأمور من جيل إلى جيل خلال آلاف السنين ، وتشكلت بشكل عفوي عادات خاضعة لنظم اجتماعية ونفسية وسلوكية صعبة . وما كان ليحدث عكس ذلك ؛ إذ أن العادات كآية قوانين مرعية وقبل كل شيء هي - عبارة عن ظاهرة اجتماعية وليست اتنوغرافية

\*. Ethnography والتزم كل فرد في العشيرة بهذه الواجبات والحقوق بكل قناعة واهتمام .

-----  
\*الاتنوغرافيا هو علم في وصف السلالات البشرية وعادات وأخلاق الشعوب – المترجم

إن المسميات والمفاهيم الواردة في اللغة الشيشانية والواردة أدناه تثبت ذلك الواقع الذي يقول – بأن الشيشان منذ القديم الغابر أنشأوا نسقا أو نظاما معقدا لأصول القواعد العامة العادية . ومن هذه المفاهيم- :

ماشرُ جهطهذ --- سلام  
بارتُ ءبذز --- اتحاد ، اتفاق  
جُولامُ أستهبج (بالجيم المصرية --- (اجتماع  
هونس ص<sup>2</sup>خر --- غنيمة  
بيقخم (بيقام) ءإتصبج --- عقاب ، قصاص  
قيناتشو تصابزبطخ --- مؤتمر ، لقاء  
تشيرا x<sup>2</sup>بذه --- ثار  
ثسيئا ض<sup>2</sup>إززه --- غنيمة حرب أو نصب تذكارية لانتصار  
قخيلُ تصابث --- قضاء ، حكم ، فتوى  
تام (تم) زبج --- مصالحة ، جزاء ، مكافأة ، جائزة  
تيشامُ زإطهبج --- ثقة ، عهد  
تيشُ زإط --- شاهد  
ثوئشلا زخطهئته --- شهادة ، بيئة ، برهان  
تلمُ زبئتهج --- بحث ، استقصاء  
قئليئة تعهئتا --- كتمان ، سرية

وغير ذلك الكثير من المفاهيم ، التي تحدد مراحل متباينة من العلاقات المنظمة .  
وابتدع الشيشان أيضا جهازا تنظيميا اجتماعيا دقيقا للظروف والأحوال التالية : توجيه اللوم للخصم – الإعلان عن الحرب – عقد اتفاقات سلام – حل المشاكل عن طريق التحكيم – الفصل في النزاعات . إضافة إلى ذلك قاموا بسن قوانين ووضع أساليب ضرورية عند التجهيز للحرب . كما كانت لديهم قواعد وأصول مدروسة بصرامة لحالات قبول الأعضاء في العشيرة ، وبمعنى أوسع عند قبول الجنسية ، ومنها أيضا حق الاحتماء أو اللجوء إلى العشيرة وكذلك تسليم المجرمين .. الخ.

إن نقض العهد والغدر والهجوم المباغت قوبلت كلها باستنكار كبير من قبل المجتمع كله . واعتبر الشيشان الابتعاد أو التخلي عن الحلفاء أيام المحن والحروب أو أوقات الضيق والشدة بأنه شيء غير جدير بالاحترام .

وافخر الشيشان دائما باستقامتهم وشجبوا بقوة غدر ومكر أعدائهم ، وبالمقابل عظموا كل شخص مات بشرف ، وكل شخص ثبت على رأيه وأدى واجبه لتقوية عرى الصداقة والتفاهم مع الآخرين .

وأرجح الظن بأنه كان لدى الشيشان منذ زمن بعيد تقويم أسبوعي بأسماء لجميع أيام الأسبوع

وبتنظيم دقيق . وهذا التقويم كالاتي :

تُخنا زبصحه --- في هذا اليوم

فُخانا تصبُحه --- غداً

لما تهجـه --- بعد غد

أولا سته --- بعد بعد غد

تسوكا ض<sup>2</sup>سته --- بعد أربعة أيام

تساستنا ض<sup>2</sup>هرزه --- بعد خمسة أيام

تسوموكا ض<sup>2</sup>سجخته --- بعد ستة أيام

كيرا ت<sup>2</sup>بذه --- أسبوع

ارتبطت هذه التسميات بأسماء آلهة الوايناخ وبشعائرهم الدينية .

كما كان الشيشان على بينة ومعرفة بالجهات الجغرافية الأربعة . فهم يسمون هذه الجهات كما

يلي :

مالخبالية جهنصءبئا --- شرق

مالخبوزية جهنصءساا --- غرب

قيلبسيده تعبءءراؤه --- شمال

قيلبية تعبءءءا --- جنوب

قيلبة تعبءءءه --- بوصلة

نستدل من كل هذا على المستوى الرفيع من التطور الثقافي لشعب الوايناخ (الشيشان-إنجوش) في تلك الحقبة من الزمن . اعتبر كل شيشاني عز ومجد عشيرته من كفاءاته الشخصية قبل أي شيء آخر . أي أنه كان له الدور الفاعل في هذا المجال . " وقامت العشيرة بدورها بتأمين السلامة والأمن لكل فرد من أفراد العشيرة ، لأنها شغلت في ذلك الزمن المكانة التي شغلته الدولة فيما بعد ؛ نظرا لما تمتعت به العشيرة من الأعداد البشرية الكافية لكي تجعل حماية نفسها ذات فعالية\* . "

وجد لدى الشيشان أيضا طقس ديني كان يجرب به الرجل لمعرفة مدى تحمله للشدائد- . كانت تحرق قطعة من الصوفان في كف يده اسفل إصبع الإبهام ت<sup>2</sup>خههعءأأخذ . ومن المحتمل أن تكون هذه العادة واحدة من الطقوس الدينية التذكارية كعملية الختان، نشأت عند الشيشان منذ غابر العصور . وباجتيازه لهذه التجربة انتقل الشباب إلى صفوف الجماعة الأكبر سناً في العشيرة . خضع لهذه العملية الأطفال وهم في سن ٧-٨ سنوات ، أي في تلك الفترة التي كما يقول الشيشان أنفسهم - يكون فيها الطفل في حالة يستطيع عندها رفع العصا .

انتشرت عند الشيشان أيضا عادة إلحاق التهمة (كارلغا) ت<sup>2</sup>هذتهاهه أو فوي فخايقخادار شسة- تصبههتصهؤبذ وهي أن يُنعت بمسبات شعبية كل شخص قام بعمل ضار ومناف للقيم الاجتماعية ، مثل حلف يمين كاذبة، أو قطع شجرة مثمرة .. وهكذا .

حفظت هذه العادات والتقاليد المتوارثة عن الأجداد ، والمتكونة في ظل ظروف اجتماعية - اقتصادية معينة . وحصرت كل فرد في المجتمع داخل إطار شديد من قواعد الآداب والسلوك . كما سمحت هذه الأنظمة من القوانين القضائية والدلائل الدنيوية أن يُساق المتهم إلى الحكم العام وإدانته، ومن ثم نبذه وطرده من المجتمع . لكتها لم تسمح أبدا بسلب حقوقه العينية والمادية .

وهكذا استطاع الشيشان في صراعهم مع الحياة وضد الحروب المستمرة ، ومن أجل البقاء أن

يضعوا قوانين وأسس حياة ومعيشة معينة ، أدت بمجملها إلى تقوية الشعور الوطني الفردي ورفع العزيمة فيه. إن قوة وثبات ميزة الصبغة الوطنية هذه مكنت هذا الشعب من أن ينقل ويمزج كل تلك القوانين والأنظمة والعادات والتقاليد وخلال عقود ، مع الواقع الاجتماعي الجديد لزماننا الحاضر. غير أننا نلاحظ عدم قدرة المؤسسات العشائرية حتى في بداية القرن السادس عشر، على أن تحسن الأوضاع الاجتماعية والاقتصادية المعقدة ، والاحتياجات السياسية للمجتمع الشيشاني في تلك الحقبة . وبدأت محاولات من أجل خلق مؤسسات أو أشكال مؤسسات قضائية عشائرية ، تكون أكثر تطوراً ومقدرة على تخليص المجتمع من العوائق السائدة فيه . واستمرت هذه المحاولات طويلاً جداً . والأهم من ذلك أنها جرت في أوضاع تناقضت وتعقدت معها العوامل الاجتماعية والاقتصادية بشكل واسع.

( \*مورغان ل.ج./المجتمع القديم ، دار نشر معهد شعوب الشمال ، لينينغراد ، ص ٤٦ ، ١٩٣٥ ) .

## **القسم الخامس** **التفكك العشائري**

بعد إمعان النظر في مجمل العادات والتقاليد ، والتعرف عليها ورصد انعكاساتها العملية في الحياة . وجب علينا التأكيد على طبيعتها المستندة إلى شكل الملكية الاجتماعية، لكونها عبرت وبدون شك عن مصالح طبقة اجتماعية معينة ( رؤساء العشائر ) ، التي استولت على السلطة في المجتمع . في واقع الحال لم تكن العادات تحمي حقوق الناس جميعهم بالتساوي ، بل كان على أفراد العشيرة تقديم العون والمساعدة للزعماء وذوي النفوذ . أما الفقراء والمعوزون فقد كانوا يساعدون بعضهم بعضاً. وهذا الشيء انطبق على كل العشائر قوية كانت أم ضعيفة . وهكذا اتصفت العادات والقوانين بالصبغة الطبقية. وتميزت عناصر هذه الطبقة الأنانية للعشيرة في مواقفها السلبية تجاه حقوق المرأة وحريتها من الاشتراك في الحياة الاجتماعية لعشيرتها. كما جردت الشباب من حقوقهم أمام الزعماء وكبار شيوخ العشيرة.

ترسخت هذه الميزات، بحيث أصبحت بالنسبة للشيشاني وكأنها وُلدت ونشأت معه ولا مفر منها. والشيشاني لم يع آنذاك، أو يدرك، بأن ما يحصل هو نتيجة ظهور الامتيازات وعدم المساواة الاجتماعية في تاريخه. ويظن البعض حتى الآن، بأن إعادة النساء أو إبقائهن في إطار العلاقات الاجتماعية الماضية، وفي طي ظلماتها هو أمر مثالي وجدير أن يُعمل به. ويوجد مع الأسف أناس لا زالوا متعلقين بالماضي بحماس شديد، ويريدون الحد من مشاركة المرأة في حياة البلاد الاجتماعية، والسياسية. فهم لا يريدون الاعتراف بأن في ذلك اضطهاد وتعسف طبقي ضد وضع المرأة ذات الحقوق المهضومة.

إن تطور وازدهار المجتمع الشيشاني كان تطور لأحد الأطراف على حساب أطراف أخرى واضطهادها. وتآكل المجتمع الشيشاني بالتناقضات الداخلية. أما عند الشعور بالخطر الخارجي العام، فقد عادت جميع العشائر والفئات المختلفة ملتحمة للوقوف أمام هذا الخطر. ومن الطبيعي أن المجتمع الشيشاني في تلك المرحلة لم يعرف الأشكال الحادة للنضال الطبقي، كما يريد البعض إثبات عكس ذلك. فبالنسبة لهذا المجتمع، كان من الغريب ومن المستهجن ومخالفا لقواعده الذاتية تحويل الناس إلى عبيد، والاستيلاء على أملاك الغير بالقوة. بيد أن العشيرة الشيشانية في نظامها الأبوي Patriarcha كانت تربية ملائمة لنمو بذور السلوك الاجتماعي، لتمد فيها جذورا عميقة. فسلطة زعماء العشائر والاتجاهات الفردية والخاصة لبعض خلايا البناء العشائري، ووضع المرأة الهزيل، أدت منذ البداية إلى تآكل اجتماعي نخر جسم العشيرة الشيشانية. كان ذلك في نهاية القرن السادس عشر. هذا التآكل شق طريقه بقوة مع حركة التاريخ خطوة بعد خطوة... أدى في النهاية إلى تمييز طبقي حاد، وكفاح لا يقبل المهادنة.

على الرغم من أن كل ما انبثق عن التركيب الاجتماعي - الاقتصادي للمجتمع العشائري في تلك الحقبة من الزمن جاء طبيعيا وعاديا، إلا أنه أصبح في المرحلة الحالية مادة لإعاقة كل تقدم وازدهار. فقد تحولت العادات وبصورة مباشرة إلى عوامل معرقة ومضادة، وآلت إلى صور سلبية في حد ذاتها؛ لأن وسائل الإنتاج لم يكن في مقدورها التطور في ظل الأشكال القديمة لها، وفي إطار البناء العشائري البطريركي والاقتصاد نفسه، وكذلك في ظل المؤسسة القضائية العشائرية المحافظة.

وجب على الأنظمة الحقوقية أن تفسح المجال لتشكّل بناء حقوقي آخر، ينمو بنفسه وينشأ في أحشائها. لقد ظهرت في بلاد الشيشان على أنقاض المجتمع العشائري المتحلل ( المتفكك ) عناصر ضخمة من ملاكي الأراضي، وكبار مربّي الماشية، والنبلاء تجار العبيد.

تبين المراجع في سياق الحديث عن التراكيب الاجتماعية - الاقتصادية، بأن مشكلة الإماء أو الرّق هي قبل كل شيء مشكلة ظهور الطبقة. غير أنها تؤكد بأن التركيبة العبودية لم تكن شيئا عاما، حيث يثبت المؤرخون عدم مرور الشعوب القديمة من الألمان، والكلية، والاسكندنافية، والسلاف، بمرحلة التركيبة العبودية على الإطلاق. وأن الطبقة بدأت عندهم مباشرة بعد ظهور الإقطاعية.

وهذا لا يعني مطلقا، بأن الكلية والسلاف لم يعرفوا الرّق والاسترقاق. إذ لا يمكن أن يحدث تفكك في مجتمع ما قبل الطبقي دون عملية استرقاق، حيث من هذا المجتمع بالذات بدأ تشكل الشعوب والمجتمعات ( العشائر ) المختلفة، ونشأ كيانها الاجتماعي. لكن الإماء لم يتطور عند هذه الشعوب، ولم يبلغ مراحلها الكاملة ومعناه الحقيقي الاجتماعي والاقتصادي.

وبالنسبة للتاريخ الشيشاني أيضاً ليست هذه الحالة بغريبة. إذ ظهرت عندهم ملكية وسائل الإنتاج الخاصة، واستغلال الإنسان لأخيه الإنسان، كعمليتين متوازيتين. إن ظهور العلاقات الإنتاجية الجديدة بين الناس، وتطور القوى المنتجة، الذي طرأ على إثرها، أدى إلى انحلال أو تفكك المجتمع العشائري الشيشاني، وساعد على ظهور كل من السيد والعبد على مسرح العلاقات الاجتماعية. وبدأ الصراع من أجل الاستحواذ على قوة الإنسان وعمله، والذي كان يجب أن يوظف أو ينظم إلى وسائل إنتاجية. ومنذ الآن أصبح من ضروريات الحياة أن يستولي السيد والنبيل على الثروات المكتسبة للعشيرة، عبر عقود من الزمن، وأن يصبح المالك الحقيقي لها. وطبقاً لذلك أدار اقتصاده بقوة عمل العبيد. وهكذا ومع زيادة استغلال عمل الناس استفاد (الأسياء والنبلاء) بشكل أكبر. أما عامة الناس من العشيرة، فقد أبدوا مقاومة عنيفة بوجه هذه المحاولات العدوانية من قبل الزعماء، الهادفة إلى الاستيلاء على ممتلكاتهم، واستغلال قوة عملهم. إلا أن هذه الفئة الدنيا لم تستطع أن تحافظ وتدافع عن وسائل الإنتاج السابقة، فالتاريخ قام بفعلته الاجتماعية الجبارة. وظهرت مرحلة نزع الملكية الجماعية للعشيرة Expropriation؛ هذه العملية التي سارت إلى الأمام، على قاعدة الاستغلال والسرقة والغدر والمكر، هي نفسها - التي سار على هداها المجتمع الطبقي المتمدن الجديد.

اتسع الصراع العنيف بين مختلف طبقات المجتمع وازداد حدة. وشمل مختلف نواحي الحياة للمجتمع العشائري الشيشاني، ومن ثم تناول شكل النزاعات والخلافات الاجتماعية المكتشوفة فيما بين العشائر، وداخل العشيرة الواحدة. ومن الأمثلة على ذلك الخلافات التي دارت بين جيلي أثب (بالجيم المصرية) من عشيرة بادخروي و توسخرو زسرسهذخ من عشيرة ديشني، التي تطورت إلى معارك، والغزوات المتكررة ما بين جوكالو بوتغا من عشيرة معايتتوي و بين خوفسور وثوشي من عشيرتي شيدلوي وياشبي على الترتيب. كان هدف هذه النزاعات هو الاستيلاء على الأراضي والمواشي، واتخاذ الأسرى كعبيد. كانت مسألة حيازة الأرض أمر لا يصدق، والفقير كان مدقماً. والأرض لم تكن تكفي البعض حتى لدفن موتاهم.

يُحدِّث الشيخ إيجيش قائلاً: " قبل حوالي ١٩٠-٢٠٠ سنة كانت عشيرة ديشني من أقوى العشائر على ضفاف نهر أرغون (إيتوم - كال). وكانت تملك أراض شاسعة، وعلى رأسها زعيمها أوسور، من عشيرة توسخروي. وهؤلاء كانوا يبقون ماشيتهم في فصل الشتاء عند عشيرة بادخروي، من قرية إيتوم - كال، لتقوم برعيها مرغمة، ثم إعادتها في نهاية فصل الشتاء كاملة، مع كل المواليد الجديدة، ودفع تعويضات عن أي خسارة تحل بالماشية خلال فترة الرعي. ومع مرور الزمن لم يعد باستطاعة البادخروي تحمل هذا الوضع الصعب والمهين، وثاروا على عشيرة ديشني بقيادة زعيمهم جيلي بن إيتون، ودحروهم بمساعدة أمير من الأوار ( وهي إحدى القبائل الداغستانية-المترجم) ". ويتابع الشيخ إيجيش قائلاً: " وعندما استلمت عشيرة بادخروي زمام الأمور، قامت بدورها استغلال واضطهاد غيرها من العشائر، كعشائر ثوسخروي وخارانثوي وزومسوي. وكانت العشائر التي لا تمتلك أرضاً مثل عشيرة باتشاجوي وثسانسوخوي يعملون لديهم كأقنان ". ومن أجل تأكيد حديثه يضيف الشيخ إيجيش بأنه توجد بقرب قرية إيتوم - كال، مقبرة تسمى " ناناذ - كش " حهبؤ-تهط ، أي مقبرة الأم. دفن فيها كل من اشترك ومات في هذه المعارك الضارية " (١) . قد تفتقر هذه الأحاديث إلى إثباتات في وقتنا الحالي، إلا أنها تعكس حقيقة تاريخية معينة. أما المغزى الاجتماعي لكل

ذلك فهو بداية حروب اقتصادية قوية من قبل الزمرة العليا، للسيطرة التامة على السلطة في المجتمع.

(١) أنظر أرشيف "المعهد الشيشاني للبحوث العلمية في التاريخ واللغة والأدب"، رقم ٢٧٢، ١٩٣٣

لم تؤد عملية تحلل وتفكك المجتمع العشائري الشيشاني هذا إلى - تملك الزمرة العليا لجميع وسائل الإنتاج فحسب (ولو أنها كانت محدودة في ذلك الزمن)، ولكن أيضاً إلى اضطهاد وتملك الناس أنفسهم أيضاً" (١).

وعلى هذا النحو، وفي نهاية القرن السابع عشر، تجزأ التكوين الاجتماعي للمجتمع الشيشاني، هذا المجتمع الذي لم يعرف التقسيم الطبقي بشكله الواضح بعد، وكون مجتمعا مؤلفا من فئات مختلفة اجتماعياً، ترتبط بعلاقات صراع ونزاع مع بعضها البعض.

وهكذا أيضاً كان الصراع قائماً حتى ما قبل بداية القرن السابع عشر بقليل، بين العشائر المختلفة مثل عشيرتي كيردوي ونيكروي. كما كانت التناحرات شديدة ما بين الشيشان وغيرهم من القبائل والشعوب المجاورة، مثل شيدلوي (الخيفسور) \*، والباشبني (الثوشين)، والكباردين، والكوميك، والكالميك، وغيرهم. وغالبا ما كانت تنترك مثل هذه الحروب آثاراً تترجم إلى ثقافة، كالأغاني والأساطير الشعبية الشيشانية. ومن هذه الآثار - موقعة "جوكالو". وجوكالو هذا بطل أسطوري عظيم من أقوى مجتمعات شيشاني ظهر في ذلك الحين، وهي عشيرة معايسني ج<sup>٢</sup> بهرزبة. وكان صراعه موجهاً ضد الباتسبيين، الذين خسروا في هذه المعركة ١٨ خيالا، وأصبحوا فيما بعد يعملون لدى جوكالو \* والمعايسنوي، مع انهم كانوا أنفسهم يحتقرون هذا العمل، إلا أنهم شعروا بجذوى القنانة والاستفادة من الأسرى الرجال في الأعمال المختلفة.

وهكذا أخذت تظهر في بلاد الشيشان و الإنجوش وبوضوح عشائر قوية، وعشائر ضعيفة، سميت الأولى بالحرّة، والثانية بعشائر القنانة... وكان يتبع القنانة \* \* \* بشكل رئيسي الأيتام والمساكين، وأبناء الناس الضعفاء، وعديمي الحيلة. وكان هؤلاء يُستغلون في تربية الماشية وفلاحة الأرض... الخ. (٢). إلا أنه " كان هنالك فارقا كبيرا بين العبد والأسير (على الرغم من وحدة أحوالهم العامة)، وهو أن الأسير يمكن أن يُشترى أو يُعاد إلى وطنه. أما العبد، والذي نسي تماماً أصله وفصله، لم يعد تربط بينه وبينهما أية صلة. وشكل جزءاً واحداً مع سيده" (٣). وفي سنوات الجوع والقحط، اضطّر الناس الفقراء بمبادلة أحد أفراد الأسرة من أبنائهم مقابل الغذاء، وذلك للعمل عند أصحاب الأراضي والمزارع؛ لا لشيء سوى إنقاذ بقية العائلة من غائلة الجوع والموت (٤). وهكذا تقريبا تكونت الطبقة السفلى من المجتمع في بلاد الشيشان.

" وفي عام ١٨٦٧، ثارت جماهير الشيشان على الحكم القيصري، الذي كان يشجع تلك الأعمال، وأجبرته على تغيير هذه الأنظمة التعسفية ضد الجبلين القوقاز" (٥)، ونتيجة لذلك فقد تم في نفس السنة إعتاق وتحرير ٣٠٠ عبد في بلاد الشيشان (٦).

إن الاستعباد والقنانة لم يصلا في هذه المنطقة إلى مرحلة الازدهار والقوة. كما ولم يصلا إلى بنيتها المنظورة تلك، التي تؤدي إلى تكونها الاجتماعي - السياسي التام. حيث تم دفن عملية الاستعباد في باكورة مراحل نموها، كمل حصل في بلاد القبرطاي، مثلاً. يبقى

السؤال هنا : لماذا يا ترى لم يزدهر الاستعباد ولم يتطور في بلاد الشيشان حتى مراحلها التالية ؟.

- \* وهي إحدى القبائل الشيشانية الموجودة في جمهورية جو رجا التي تحد الشيشان من الجنوب /عن أحمد سليمانوف ج ٤ ، ص ٢٧٢ ، ١٩٧٨ - المترجم
- \*\* بيرجيه ، الشيشان والبلاد الشيشانية ، ص ١٤٠ ، تقليس ، ١٨٥٩ .
- \*\*\* وهي من أشكال الاستعباد والبيع والشراء أو الإهداء - المترجم
- (١) من سجلات أرشيف المعهد الشيشاني للأبحاث العلمية في التاريخ واللغة والأدب ، رقم ٢٧٢ ، ص ١٩٣٢ ، ٦٤
- (٢) خَرَادزَه ، رَيكِيذَرَه . طبيعة علاقات المُلْكِيَّة في منطقة الإنجوش الجبلية ، مجموعة مقالات اتنوغرافية، ج ٢ ، ص ١٣٢ ، تقليس ، ١٩٦٨ .
- (٣) لِيَتُوْفِيْتَشْ أ. ، عادات الجبلين القوقاز ، ج ٢ ، ص ٨٠-٨١ ، تقليس ، ١٨٨٣ .
- (٤) لاوْدَايِيْف ، القبائل الشيشانية ، مجموعة مقالات عن الجبلين القوقاز ، الإصدار السادس ، ص ١٤ ، تقليس ، ١٨٧٢ .
- (٥) تاريخ الاتحاد السوفييتي ، ج ٢ ، الطبعة الثانية عشرة ، ص ٢٤٦ ، ١٩٥٢ ،
- (٦) غرابوفسكي ن. ، مجموعة مقالات وأخبار عن الجبلين القوقاز ، الإصدار الثالث ، ص ١٣-١٤ ، تقليس ، ١٩٥٢ .

## القسم السادس

### الصراع الاجتماعي داخل العشيرة

حدثت في المرحلة مجال البحث صراعات اقتصادية فريدة من نوعها ، أدت في النهاية إلى تعزيز القوة الاقتصادية لبعض العشائر على حساب العشائر الأخرى . ومما يجدر ذكره بأن الغنائم لم تكن توزع في نهاية الأمر على جميع أفراد العشيرة مثلما كان مفروض أن توزع ، وإنما بين أولئك الذين اشتركوا مباشرة في عملية النهب. وحصل القادة على نصيب الأسد ؛ مما نتج عنه ظهور جماعات متميزة من حيث الغنى والقوة المادية . وعلى هذا النحو استحالت الغنائم إلى "مصادر لاكتناز الأموال الأولية" - وهذه أصبحت بدورها أساسا للتقسيمات الجديدة داخل العشيرة مثل قوي، وضعيف .

يتذكر الشعب الشيشاني بعض قواد الحروب التاريخيين ، الذين اشتهروا في هذه المرحلة من التاريخ مثل **بِيْزِي مُوسُوْسْتْ** ، **بِيْزِيْن مُوسُوْسْتْ** ، **زَايْتِي شَاخْمِيْرْزَا** **زَايْتِيْن** من **شِيْخْمِيْرْزَا** ، **أَدِي سُوْرْخُو** ، **أَدِيْن سُوْرْخُو** ، **دَاْدَا** (مؤسس قرية دادي - يورت المشهورة ) ، **جُوْكَالَا** (مؤسس بلدة جوكلَا - يورت) ، **بُعَاتْشِي** **بِيْأَحِي** (مؤسس قرية بعاتشي - يورت ) ، **تَشُوْلِيْغَا** (مؤسس بلدة تشوليغا - يورت) .. وغيرهم ممن كان لهم الأثر الفعال في تعجيل عملية التقسيمات الجديدة داخل العشيرة ، من حيث ملكية الأراضي والأشياء الثمينة المتنوعة . وهكذا تكونت طبقة الأغنياء والنبلاء، منهم على سبيل المثال العائلات الشيشانية التالية : **تَشُوْلِيْكَوْف** ، **تَشُوْلِيْكَوْف** ،

شامورزاييف ШАМУРЗАЕВ ، سارالييف САРАЛИЕВ ، إلمورزاييف ЭЛМУРЗАЕВ . . وغيرها ممن اشتهر أجدادها القدامى كقواد وزعماء . نحن لا ندعي إطلاقاً بأن تفكك أو تفسخ العشائر الشيشانية كان نتيجة أعمال السلب والنهب والغارات والنزاعات المختلفة ، لا ، لكننا نريد التأكيد على أن تلك الوقائع كانت من العوامل الرئيسية التي ساعدت على عملية التفكك . ومن المعلوم أن الملكية الأساسية لوسائل الإنتاج في البناء العشائري الباترونيمي ليست ملكية خاصة ، بل ملكية عشائرية عامة - باترونيمية \* . وهذا أيضا يدل على تواجد عناصر طبقية متضادة .

تحولت الغارات إلى حالات سلب ونهب على أسس منتظمة . وهكذا أصبح النهب والسلب ، الذي اعتُبر في السابق حسب العادات والتقاليد عملاً محققاً وجريمة بشعة ، وعوقب مرتكبها بأشد العقوبات ؛ أصبح مع مرور الزمن مفخرة وموضوع مباهاة ، واتخذ مكاناً خاصاً في المجتمع .

\* الباترونيما - تعني دلالة النسب من اسم الأب أو الأسرة / المترجم وتحولت إلى مهنة منسقة بهدف الافتخار والتباهي بالغنى والثروة ، واعتبارها أعلى مراتب الخير . وأن سوء استعمال أنظمة القرابة القديمة كان هدفاً تبرير عمليات السلب القسري للثروات " .

كان من الممكن حسب الأعراف عند الشيشان أن يكون القائد الحربي من خارج العشيرة ؛ أي أنه ليس من الضروري أن يكون عضواً في العشيرة . بينما الزعيم كان لا بد أن يكون من العشيرة عينها . أما الأشخاص ذوو المناصب الدينية أو الروحية فلم يملكو الحق في تقلد منصب القائد الحربي .

أما داخل العشيرة الواحدة فقد تصرفت كل أسرة (عائلة) بأموالها كما شاءت ، ومع مرور الزمن نمت مصالح كل عائلة بشكل منفصل عن مصالح العشيرة ككل . وهكذا قامت الأسر أو العائلات بتجزئة وتحطيم العشيرة من الداخل ، لأنه كما يقول الفلاسفة: يعتبر توزيع الإنتاج بالتساوي تقريباً أمر عادي ومقبول بطبيعة الحال في المجتمع العشائري أو الزراعي ذي ملكية الأرض الجماعية . وهذه مرحلة تاريخية تمر بها كل الشعوب ذات الثقافة . أما في ذلك المجتمع ، والذي يكون فيه توزيع الإنتاج بين أفراد بدرجة أو بأخرى غير متساوية - فذلك يصبح عاملاً من عوامل بداية تحلل هذا المجتمع . كذلك من الواضح جداً ، أن توزيع ملكية الأرض الكبيرة يختلف دائماً عن الأرض الصغيرة . فالأولى تعمل على خلق تضادات طبقية وظهور الأسياد، والعبيد، والملاكين الكبار، والرأسماليين، والفلاحين الصغار ، الذين لا حول لهم ولا قوة . وكذلك العمال الذين يعملون بالأجرة اليومية... وهكذا تتجزأ العشيرة الواحدة وعلى فترات إلى عائلات أو أسر من حيث الملكية. ينشأ الأغنياء والفقراء... وكيفما كان أفراد العشيرة متصادقين ومتكاتفين مع بعضهم البعض في ظروف الحياة المختلفة (الأفراح والأتراح وغيرها) ، إلا أن ذلك لا يمنع من نمو التفرقة وازدياد السخط بين هذه العائلات والأسر .

كانت الماشية هو المعيار الأساسي للقيمة ، حيث كانت تجري عمليات تبادلها مع مختلف ضروريات الحياة الأخرى . أي أن " الأبقار " ، أدت عملها في بلاد الشيشان لمدة طويلة .

وعندما بدأ التبادل التجاري وانتشار رأس المال ، كون الأشخاص الذين اغتتوا بشكل فاحش وأصبحوا زعماء في عشائهم طبقة الإقطاع الشيشان . لقد لاقى هؤلاء الدعم من قبل بعض العادات والتقاليد الشيشانية نفسها من جهة ، ومن قبل الحكومة القيصرية وإدارتها المختلفة، والمنتشرة في شتى مناطق القوقاز من جهة أخرى . لقد استخدمت هذه الحكومة دوما الإقطاعيين، والطبقة الرأسمالية من الشيشان، في تحقيق مآربها العدوانية لترويض الشعب الجبلي العامل وإخضاعه . كما استعانت بزعماء ووجهاء الطبقات العليا في جيشها ، وأعطت لهم وظائف إدارية ومنحتهم الألقاب والأوسمة ، إضافة إلى الأملاك والأراضي الضخمة . علاوة على ذلك قامت الحكومة بتعليم أبناء هذه الطبقة العليا في المدارس الحربية الروسية.

حتى النصف الثاني من القرن التاسع عشر ، كان في بلاد الشيشان إقطاع وملاك أراضي كبار، ونبلاء استغلوا كل إمكاناتهم من أجل تحقيق أهدافهم الاقتصادية والسياسية . ومن هؤلاء كثيرون ممن ملكوا معظم الأراضي بطريقة الاستيلاء عليها من أبناء الشعب الشيشاني الفقير . فمثلا كان في حوزة الملاك أورْتسا تشيرْموييف ٥٧٩ ديسياتين<sup>(١)</sup> من الأراضي ، وجمال الدين مصطفىنوف ٤٠٠ د . ، وكاسوم كوروموف ٥٨٥ د . ، ويوسف تشوليكوف ٥٧٩ د . ، وبوتا شامورزايف ٤٠٠ د . ، وأحمد-خان المورزايف ٤٧٠ د . ، وسؤاد سارالييف ٤٠٠ د . وغيرهم (روزنامه تيرك ، ص ٢٥٠ ، فلادي كوكاز ، ١٨٩٤ ) . كما حصل حوالي ١٠٠ ضابط وموظف حكومي على أكثر من عشرة آلاف ديسياتين من أفضل الأراضي ومنهم : الخازوف ٢٨٠٠ د . ، تايمازوف ٦٥٥٠ د . ، تورولوف ٢٠٠٠ د . ، إييلداروف ١٤٠٠ د . . الخ. وهكذا أصبحت الأراضي الصالحة للزراعة رغم ضآلتها ، والمنتشرة في أعالي الجبال وسفوحها في أيدي قلائل من الناس يمثلون الحكومة القيصرية والوجوه الأخرى المميزة<sup>(٢)</sup> . ونتيجة لهذا النهب واغتصاب أفضل الأراضي من قبل الملاكين المحليين والكولاك (الإقطاع) ، عانى القسم الأكبر من الفلاحين الكادحين من الفقر والجوع، ومن ظروف الحياة القاسية الأخرى.

وهكذا أخذت جموع الشعب الفقيرة والمغلوبة على أمرها في الترحال، والتنقل من أجل طلب الرزق ... وحصلت عملية تشكل البلوريتاريا (الطبقة العاملة)، بين جموع الفلاحين الكادحة .

يوجد هناك رأي آخر حول تواجد الإقطاعية وطبقة النبلاء في المجتمع الشيشاني خلال القرن التاسع عشر . ومؤيدو هذا الرأي ينفون بشدة وجود الإقطاعية وطبقة النبلاء ، ويدعون بأن هذه الطبقة لم توجد على الإطلاق عند الشيشان . ومن مؤيدي هذا الاتجاه الكاتب الشيشاني خالد أشايفف ХАЛИД

- 
- ١- الديسياتين (د)- وحدة قياس روسية قديمة تساوي الواحدة منها ١،٠٩ هكتار ، أي حوالي عشرة دونمات ونيف ، عن الانسيكلوبيديا السوفييتية - المترجم
  - ٢- غريستكو ن . ، النمو الاقتصادي لبلاد الشيشان - إنجوش حتى نهاية مرحلة الإصلاح ، غروزني ، ١٩٦٣

АИИАЕВ ، الذي يقول : " أن بلاد الشيشان دخلت مرحلة الثورة الاشتراكية ، وهي في حالة لم تعرف فيها الإقطاعية ولا حتى آثارها " \* . إن نصيرو هذا الاتجاه لا يأتون بأية دلائل أو وقائع تثبت أقوالهم، بل يعتمدون عادة على أن " من مثل النبلاء والإقطاعيين الأوائل في بلاد الشيشان لم يكونوا من أصل شيشاني " . نعم ، هذا صحيح . إن أوائل الأمراء الإقطاعيين الذين ظهروا في بلاد الشيشان لم يكونوا شيشاناً، وحقيقة أيضاً بأن الشيشان حاربوا بشدة الإقطاعيين الكوميك (القوميك)، والكباردين (القبرطاي)، الذين حاولوا فرض سيطرتهم على الشعب الشيشاني . فمثلاً اندلع عام ١٧٥٧ في البلاد الشيشانية عصيان وتمرد واسع ضد الإقطاع الدخلاء ، إلا أنه أخدم بقوة جند القياصرة . ونال الشعب الذي لا يقهر عقاباً صارماً جزاءً على ذلك، وتم إجباره بالقوة على قبول الإقطاعية الدخيلة، والرضوخ لسلطة زعمائه .

توجد وقائع تاريخية كثيرة تثبت وجود الإقطاع والمالكين الكبار ، الذين أخذ وراثتهم فيما بعد بكتابة رسائل لحكام القيصر ( ومنهم تشوليكوف سليمان )، يلتمسون منهم فيها إعادة أملاك آبائهم وأجدادهم ، التي فقدوها بسبب الحروب المدمرة الطويلة، وغزوات الإمام شامل ومُورِيدِيَه ( أتباعه - المترجم) القساة .

ومما يجدر ذكره بأن رجال الدين وأصحاب المناصب الروحانية لم يتخلفوا بدورهم عن أعمال النهب للأراضي وامتلاكها بالقوة . "ومنذ زمن بعيد والمساجد وما بحوزتها من أملاك وعقارات مختلفة ، الثابتة منها والمنتقلة (سهول القمح وقطعان الماشية والمراعي والأعلاف)، تتبع كلها باسم المسجد لأشخاص معينين " \*\* .

وبالنسبة إلى الإمام شامل، الذي استلم السلطة والقيادة تحت راية الحركة الديموقراطية الواسعة ، قام في البداية بقمع وإخماد سلطة الخانات والبكوات، ثم عمل على إيجاد أرستقراطية جديدة خاصة به - من النواب والمدراء وغيرهم ممن لم يترددوا في استخدام سلطاتهم لغايات جشعة . ويثبت ذلك الوثائق التاريخية التالية : في عام ١٨٩٣ كتب سكان قرية "مارشين - كلا" للسلطات الحاكمة آنذاك، رسالة يوضحون فيها بأن بوتكو عوماروف (وهو أحد نواب الإمام شامل)، كان يأخذ الأراضي لنفسه محولاً إياها إلى أملاك خاصة ، بدل توزيعها على الناس الذين أكلوه بتقسيمها فيما بينهم . وكان الإمام شامل نفسه يقوم بتوزيع الأراضي وقطعان الماشية والممتلكات

---

\* أشاييف خ. ، نبذة عن بداية الحركة الثورية في بلاد الشيشان ، ص١٦، دار سيرلو للطباعة والنشر، غروزني، ١٩٦٣

\*\* إفانينكو ن. ، مجموعة مقالات "تيرك" ، مصدر ٧، ص٨٨، فلادي قفقاس، ١٩١٠  
الأخرى ، التي استولى عليها من الخانات على نوابه ومدرائه ، إضافة لمنحه إياهم الامتيازات والتسهيلات الأخرى لاستعمال الأراضي ككل . وبهذه الطريقة تحول النواب بشكل فعلي وحقوقى إلى طبقة أرستقراطية جديدة . وغدا بقية الشعب الفقير تحت رحمتهم وسلطانهم . وأصبحت إمامة شامل عبارة عن هيئة للتحكم، والسيادة بشكل جائر . وأدى هذا التحول بالذات إلى سقوط دولة الإمام شامل وتحلل نظامه ، كما أدى إلى أضعاف مقاومة الجبليين في حروبهم ضد الحكم القيصري المطلق .

رافق عملية التحول الطبقي السريعة هذه مقاومات عديدة من قبل الفلاحين ضد مستغليهم الجدد . وشاهد تاريخ " إمامة الشيخ شامل " أكثر من انتفاضة مسلحة ضده من قبل الفلاحين الشيشان . ولا ريب في أن نوابه قمعوا هذه الانتفاضات بكل وحشية وقسوة، كما وأن الإمام ونوابه قد أبادوا قرى شيشانية بأكملها ، وقتلوا كل من عارض حكمه وكل من لم يدخل في إمامته (١) .

في الحقيقة لم يكن هدف سياسة الإمام شامل ، كما يحاول البعض إثباته وعلى أسس غير علمية -القضاء على الملكية الخاصة، وتقسيم الأشياء بين الناس بالتساوي، وتحقيق العدل بينهم ، أو أن الإمام كان يدعو إلى التحرر الاجتماعي . بل على النقيض من ذلك خلق نظامه التيوقراطي Theocracy \* كل الإمكانيات لكي يجعل بعضا من نوابه وقضاته من الأثرياء والأغنياء ، مما أدى في النهاية إلى انفصال كثير من أتباعه عنه، وابتعاد الكثيرين من حوله .

### ماذا فعلت الحكومة القيصرية بهذا الصدد ؟

- يمكن الإجابة على هذا السؤال إذا اطلعنا على ما قاله الأمير بارياتينسكي:- "ينبغي قبل كل شيء السعي إلى إعادة إحياء الفئة والطبقة العليا... هناك ، حيث لا تزال آثارها موجودة بهذا القدر أو ذاك . وينبغي أيضاً وضع نظام أو أسلوب حكم فعال... هناك، حيث هو غير قائم " \*\* .

ومن أجل تحقيق ذلك منحت الحكومة القيصرية العائلات والأسر الشيشانية المميّزة إقطاعات كثيرة من الأراضي ، بينما كانت حصة الفلاح العادي الذي يقوم بفلاحة وزراعة الأرض فعليا محدودة جداً .

ومن أسباب عدم وضوح مسألة فيما إذا وجدت الإقطاعية الأرستقراطية أو لم يكن لها وجود في المجتمع الشيشاني ، هو - عدم وضوح شكل أو مظهر الإقطاعية في الأدب التاريخي الروسي للقرن التاسع عشر . وكذلك إلى الرغبة الجامحة لكل

(١) مجموعة مقالات عسكرية ، رقم ٧ ، ج ٢٧ ، ص ٣٩٢ ، ١٩٦٢

\* التيوقراطية - هو نظام يسيطر عليه رجال الدين ( نظام روحاني) - المترجم

\*\* بوتكوف ب. ، معلومات ومصادر عن التاريخ الحديث للقفقاس ، ج ١ ، ص ٣٧ ، ١٨٦٩ عضو من أعضاء العشيرة الشيشانية، ورغم كل شيء، بأن يدعى بالشيشاني الحر "سو أوژدا نُوخْتشو وُو" СО ОБЗДА НОХЧО ВУ (أي أنا شيشاني حر)، غير راض بأن يكون في محيطه لا العبد ولا السيد . وفي الوقت نفسه استمر التاريخ في صنع عمليته الكبيرة ، والتي كانت نتيجتها استيلاء العائلات والأسر القوية ، التي اشتهرت بتجاريتها الواسعة على أغلب الأراضي وأفضلها. وبذلك بقي الجزء الرئيس من السكان دون أرض على الإطلاق، وفي فقر مدقع .

لقد وُجد البناء العشائري الشيشاني بذات الطريقة، وفي نفس الظروف الملائمة لتدميره أيضاً .

وبعد أن أُرهِقت بلاد الشيشان من قبل القياصرة الروس ، أصبحت تدخل في فلك الرأسمالية ، بعد أن انهارت دولة الإمام شامل الحربية - الإكليريكية (١) ، تاركة البلاد تعج في فوضى من الاضطهاد، والاستعمار، والفتنة . مما سمح لأمراء الحكومة القيصرية المطلقة استلام زمام الأمور فيها .

كما ذكرنا سابقا عندما سيطر المستعمرون على بلاد الشيشان ، أخذوا يبحثون عن سند لهم من الملاكين وأصحاب الأراضي، ومن البرجوازيين القوميين ، من أجل تحقيق مآربهم العدوانية . ولم يجدوا صعوبة في تحقيق ما يصبون إليه . إذ قسم الأعداء بين أنفسهم ثروات الشعب الشيشاني العامل .

وطبيعي أن هذا التطور السريع للرأسمالية أدى أيضاً إلى ضعف القومية الشيشانية المتحفظة ، وإلى تقارب الشعوب المختلفة . كما يلاحظ بأن هذه العملية حصلت في ظروف استعمارية قاسية جداً ، من ضمنها حرمان الشيشان من حقوقه الاجتماعية والوطنية . لقد أوقعت الرأسمالية ضربة ساحقة وأخيرة بالتركيبة العشائرية الشيشانية في بلاد الشيشان . ولم يستطع أحد أن يوقف هذا الزحف الخطير للتمدن البربري . وكان على البناء العشائري أن ينهار . لم يعد بمقدوره العيش والبقاء ، لأن الأساس الذي كان يقوم عليه أخذ يتحطم .

وهكذا أخذت بلاد الشيشان، التي أصبحت مستعمرة للقيصرية المطلقة تدخل شيئاً فشيئاً في فلك العلاقات الإقطاعية - الرأسمالية الروسية .

(١)الإكليركية - دولة أو نظام حربي يسيطر عليه رجال الدين (نظام روحاني) - المتر

## القسم السابع

### الطقوس الدينية العشائرية

كان اطلعنا على النظام الديني للشيشان القدامى عاماً ، ذلك لأن وجهة نظرهم حيال الفلسفة الإلهية والعشائرية الدينية Theology & Ceremony مكتومة في طي من الظلمات، تماماً شأن أنظمتهم الاجتماعية في تلك السنوات الغابرة . ومع ذلك يجب الاعتقاد بأن الشعائر والطقوس الدينية لشيشان العصور الوسطى كانت مرتبطة مع التنظيم العشائري الشائع لديهم ، وليس مع تنظيم الأسرة . زعيم العشيرة " الحارس الإلهي " (الحارس الديني الأمين) ، كان هو نفسه الذي أدى وظيفة الكاهن .

اشتهرت كل عشيرة شيشانية بمقرها الديني الخاص ، والذي أقيمت فيه العبادات ومختلف الشعائر الدينية الأخرى . إن معبد تُسو IIIV الوثني، وغيره من الأماكن المقدسة، التي ما زالت قائمة، لهي دلائل قاطعة على ذلك . لقد تم إنشاء هذه المعابد في تلك المناطق التي كانت تقطنها العشائر، وكل عشيرة في منطقة.

كان الناس يأتون إلى المعابد ويقومون تحت أقواسها وقناطرها الكثيبة والمظلمة بتلاوة دعواتهم، طالبين من الآلهة الصامته أن تهبهم محاصيل وفيرة وإكثار حيواناتهم الأليفة ، وإنجاب نسل قوي وصحي . وكانوا يقدمون القرابين لآلهتهم . بينما كان رجال الدين بدورهم ينشرون بين أوساط المتدينين فكرة كون الإنسان عبد للآلهة ، وبأن الشر والحزن هو مصير كل من يعمل على إهانتها . ومن أجل غفر الذنوب عادة ما أحضر الناس معهم مواشيهم ليقدموها قرابين يتم نحرها أمام المعبد، وإشعال شمعة، فإذا بقيت مشتعلة حتى النهاية فدليل السعادة. أما إذا انطفأت (وهذا ما كان يحصل في الغالب)، فنذير شؤم وغضب الآلهة ، حينها

فما على الشخص إلا أن يأتي بجدي أو ثور آخر وينحره . ومن الطبيعي كانت أغلب هذه الأضاحي من نصيب الكهنة أو كبار رجال الدين .  
وكعادة متبعة كان كل شخص يُحضر معه للأعياد بييرة من صنع منزلي تسمى - يي ، مما يدل على أن الشعائر الدينية عند الشيشان كان يصاحبها الشراب .  
توجد في منطقة غلانتشوج دِمنة \* تسمى **إيلتُ بحارخوي** ، وتتكون هذه التسمية من مقطعين هما : **إيلتَا** أو **إلتَا** - **ЭЛТА** - وهو إله الخصوبة عند الشيشان ، و **بَحَا** **ПХБА** \*  
- قرية جبلية . كما توجد دِمنة أخرى تدعى **سيلا كُورُتُ** ، و **سيلا** **СЕЛЯ** - هو إله الرعد والبرق عند الشيشان ، أما **كُورُتُ** **КОРТ** - فتعني الرأس أو القمة (مكان مميز على رأس جبل مثلا) . وسكان هذه المنطقة يقولون : **طيرلُوي ديلا** \*\*\* - أي رب عشيرة **طيرلُوي** ، **فينخوي ديلا** - أي رب عشيرة **فينخُوي** ، **كيردُوي ديلا** ... وهكذا .

\* **الدِّمنة** - هي آثار الدار وما تلبد منها ، قاموس محيط المحيط للبستاني . المقصود هنا أماكن الاستيطان الجذرية لهذه أو تلك من العشائر - المترجم  
\*\* **بَحَا** - وتعني السهم أيضاً ، ومن هنا الثأر بالدم ، لأن القتل كان يحدث قديماً بالقوس والسهم - المترجم  
\*\*\* **ديلا** - هكذا يسمي الشيشان الله ، وهكذا سمو قديماً كبرى آلهتهم  
تدل هذه المعطيات على أن العشيرة كانت آنذاك مركزاً طبيعياً لتطور الديانة، لكونها تختص بأماكن للعبادة وإقامة الشعائر الدينية. حيث تميزت كل عشيرة بشعائرها وطقوسها الدينية .

هكذا ظهرت في المجتمع الشيشاني الأفكار والمعتقدات الدينية ، وتحددت أشكال العبادة . وغالبا ما كانت هذه المعتقدات وأشكال العبادة تخرج من إطار العشيرة الواحدة لتشمل عشائر أخرى . فعلى سبيل المثال يحتفل الشيشان منذ الأزمنة الغابرة بفصل الربيع أو الأحد الأول ، ويقومون باحترامه كعيد عام تقدم فيه ولائم سخية ويدع إليه سائر أعضاء القبيلة . وفي هذا الاحتفال الديني كانت تتلى الدعوات إلى الآلهة، وشكرها على النعم الموجودة . وحتى بعد قدوم الإسلام إلى بلاد الشيشان بقي لديهم بعض من آثار العبادة القديمة بأشكالها المختلفة منها : تقديس الحرم الديني القديم، وغيرها من الأماكن الدينية التي كانت معتبرة .  
كما أعطى الشيشان في ظهر الإسلام أيضا تفاسير وتأويل أخرى لآلهتهم القديمة، والذين ما أرادوا نسيانها أو تركها . فقد استبدلت أسماء الآلهة القديمة بأسماء الشيوخ وأساتذة الدين الإسلامي . أما ربهم الأساسي - **ديلا** **ДЕЛА** (إله الشمس)، أو رب العالمين، فقد بقي ربهم الواحد الكبير .

وحسب اعتقاد الشيشان عاشت آلهتهم القديمة على قمم الجبال ، وفي الأودية السحيقة وفي الكهوف وبين الصخور وفي المياه وفوق الغيوم . وباختصار سكنت آلهتهم الطبيعة الحية وغير الحية في هذا الكون . وليس عبثاً أن يتساءل الشيشان : أين يا ترى بالضبط يسكن الله ؟ ويجيبون على تساؤلهم هذا : إنه في كل مكان وفي جميع أنحاء هذا الكون، كالقشدة والحليب معاً .

إن ضعف الإنسان أمام الطبيعة وعدم قدرته على مجابهتها ، وخوفه ورهبته من اليوم التالي، ولدت لدى أجداد الشيشان كغيرهم من الشعوب إحساس الإيمان بالخالق - بالله، وبوجود الشياطين وبالعجائب والغرائب .. الخ.

وما قبل الإسلام كان شعب الويناخ يؤمن بتعدد الآلهة الكلاسيكية. وما بين القرنين الثاني عشر والرابع عشر اعتنق المسيحية. ومما يدل على ذلك المكتشفات الأثرية في البلاد. وهكذا وحسب تأكيدات التاريخ اعتنق الشيشان بعد الوثنية الديانة المسيحية، ومن ثم الإسلام. وتدل بعض المعطيات بأنه حتى بعد الإسلام عاد الشيشان إلى ممارسة شعائره الوثنية التقليدية. وقبل حوالي ثلاثماية عام فقط أصبح شعب الويناخ مسلماً ، مع الحفاظ على بعض عناصر الوثنية والمسيحية، والاستمرار بنفس الوقت في عبادة بعض الآلهة القديمة. ومما يجدر ذكره بأنه في أواسط القرن التاسع عشر، واصل الشيشان تمسكهم وبقوة بالأنظمة والقوانين العادية، التي ولدتها معتقداتهم البدائية. ويذكر المؤرخ إفانينكون. س . : " منذ انتشار الإسلام في بلاد الشيشان، والصراع مستمر ما بين القوانين والعادات التقليدية وبين الأحكام، التي جاءت بها الشريعة الإسلامية . ويبدو أن شعب الويناخ لم يكن ممثلاً كثيراً في اتباعه الأحكام الجديدة، وكان على صراع معها " \* . ويشير في هذا الخصوص المؤرخ الشيشاني **أومالات لاؤدايف УМАЛАТ ЛАУДАЕВ** قائلاً : "لقد اختلطت معتقدات الشيشان الوثنية مع المعتقدات الإسلامية ، مما جعل من الصعب تمييز إحداها عن الأخرى ؛ لكونها قد صبغت بالصبغة العامة للإسلام " \* \* .

وغير واع لما يحدث استمر الفلاح الشيشاني ومربي الماشية والحرفي، خلال حوالي ثلاثماية عام، في صراعه مع الديانة الجديدة ، مستخدماً مذهب الوثنية كفكر قومي خاص به. وحتى مع انتشار الديانة الإسلامية لم يتم القضاء نهائياً على المعتقدات القديمة الأخرى، بل أخذت الديانة الإسلامية في هذه المنطقة تنتقي هذه أو تلك من المعتقدات والشعائر الوثنية وتتبناها.

أمن الشعب الشيشاني بالأرواح الجيدة والشريرة، بأشكالها المختلفة. فعلى سبيل المثال كان البيت المسكون بالأرواح يسمى - **ТАРАМ** طارم ، والأرواح التي تسكن الجبال الصخرية - **АЛМАЗ** ألمز ، ومصاص الدماء - **УБАР** أوبر ، والساحرة - **ЙИШАП** . ومن المعلوم أن هذه المعتقدات وجدت من قبل، وعرفها الشيشان قبل الإسلام أيضاً. وحسب اعتقاداتهم القديمة كذلك، كانت هذه الأرواح تستطيع أن تلحق الأذى أو الشر بالإنسان. فمثلاً كان مصاص الدماء هو من يقضي على الماشية، والساحرة تخطف الأطفال. والأرواح التي تسكن الجبال الصخرية تحول الشخص الطبيعي إلى مجنون، وتفنيه من الوجود. ولهذا السبب كان أجداد الشيشان يخاطبون الجبال، ويتضرعون إليها قائلين: " أيتها الجبال، أنعمي علينا نعمك ! واحفظي أطفالنا وماشيتنا، واحمينا من الشر والبؤس " .

كما اعتقد الشيشان بأن عظام الموتى ترسل الغيث وتحمي الزرع، وخصوصاً إذا كانت قريبة من سطح الأرض . وهكذا يبدو بأن تعاليم الدين الإسلامي لم تجد في المراحل البدائية من انتشاره تجاوباً من قبل الإنسان الجبلي - الراعي والفلاح، الذي عاش آنذاك مؤمناً بفكره الديني الخاص، والمطابق لمستوى الفهم والإدراك الاجتماعي لذلك الزمن. كما بقي كثير من المفاهيم والأشكال الوثنية إلى الآن متناسقة، وبشكل عجيب، مع تعاليم الدين الإسلامي، الذي يعارض بحد ذاته هذه المفاهيم بشدة.

\* إيفانيئكو ن. س. ، الشيشان الجليون . مجموعة مقالات تيرسكي ، إصدار ٧ ، ص ٥١ ،  
فلادي قفقاس ، ١٩١٠

\*\* لاؤداييف أ. ، قبائل الشيشان . مجموعة مقالات وأخبار عن الجليين القوقاز ، إصدار ٦ ،  
ص ٢٣ ، تفليس ،

## القسم الثامن وتموت الآلهة أيضا

اخترع الإنسان لنفسه في القرون الغابرة فأساً من الحجر ومحراثاً خشبياً. ولأريب من أن هذه الاختراعات كانت في ذلك الزمن من المنجزات الهامة لتقدم وتطور المجتمع البشري. وفي أيامنا هذه فمن المضحك تصور قلع وقطع أشجار الغابات بالفؤوس المصنوعة من الحجر، أو حراثة الأراضي بمحاريث خشبية بدائية. لذا هنا سؤال يطرح نفسه : لم لا يريد الناس، الذين اعترفوا بأنفسهم منذ فترة بعيدة بأنه من غير المعقول استخدام الفؤوس والمحاريث البدائية في أيامنا هذه؛ لم لا يريدون الاعتراف بأن العادات والأعراف القديمة، التي جاءت مع هذه الأدوات وغيرها من مستلزمات ووسائل الإنتاج قد أصبحت أيضاً قديمة؟! ولماذا يعتبر هؤلاء بأن تغيير العادات والتقاليد القديمة غير المألوفة حالياً، وغير الصالحة، بأخرى جديدة ونافعة تواكب العصر المتطور، هو ضياع وخسارة فاجعة، بل وكرثة لثقافتهم القومية؟! أو لم تسر كل الشعوب والأقوام ومن ضمنها نحن الشيشان ولم نزل سائرين ونحن نبذل جل جهودنا، متحملين مختلف الآلام والمشقات وبأذلين حتى الدماء، من أجل تذليل الصعاب وتجاوز التخلف؟

نعم، فمع الزمن تموت الآلهة أيضا. أجل فلم تكن أعدادها قليلة على هذه البسيطة، وبالذات في موطن الشيشان. إذ بعد الآلهة الوثنية جاءت أخرى وبادت... وهكذا. الإنسان هو نفسه الذي بقي وعاش وتطور مع الزمن، وأصبح يدرك ما حوله من الأمور. عارض بعضها وسائر الأخرى، واتبع مناهج اقتنع بها بنفسه، وتأكد من صلاحيتها عبر سبيله الشاق. حاولوا الآن أن تقولوا لشيشاني مؤمن : اذهب إلى معبد تسو وصلّ لإله الرعد، أو لإله الماء - سيجبيكم بأنكم مجانين. قولوا له : دعك من عادات وتقاليد الماضي، التي جاءت مع تلك الآلهة - سيغضب منكم أكثر، وسينبذ ما قلمتموه بشدة، وكأنكم حاولتم المساس بكرامته وقيمه القومية.

قد يكون رد الفعل هذا ذو صفة خاصة، نتيجة ثبات وترسخ العادات القديمة. إلا أنه من جهة أخرى ليست الآلهة هي التي تموت فقط؛ وإنما العادات وكذلك التقاليد - فالشيشان منذ زمن بعيد كقوا عن تعليق حدوة قديمة على مشارف بيوتهم، عثر عليها في الطريق المؤدية إلى البيت (لكي لا تذهب السعادة من بيتهم). كما ولا تعلق على أعمدة بيوتهم جماجم الخيول

(لتحفظهم من العين الحسود)، ولا يستخدمون التدخين لشفاء مرضاهم. كما ولا يدمغون قدم الطفل بمسامير مصهورة على شكل صليب لعلاج الأمراض.  
في الحقيقة تغيرت عادات الشيشان بأساليب شعبية وبمعان ودلالات صحية وسليمة. ومع ذلك نجد بأن العادات والتقاليد بأشكالها المختلفة تُولد وتُرافق الشيشاني منذ ولادته ونشأته حتى مماته. وهذا لا ينطبق على الشيشان لوحدهم ، لا ! ولا حتى التنظيم العشائري هو سمة شيشانية يختصون بها دون سواهم. يقول بهذا الصدد ل. مورغان : " إن كل أسرة في المجتمعات ما عدا البولينية\*Polynesians، وصلت على ما يبدو إلى التنظيم العشائري. وكانت مُلزَمة به ومدينة له، لأنه حافظ عليها وعمل على تقدمها " \*.  
حقاً، انصف كل شعب بتنظيمه العشائري ذي الملامح الخاصة به، معتمداً على الظروف الاجتماعية والاقتصادية والجغرافية، التي لعبت كل منها دوراً بارزاً في توجهاته وفي سرعة تفككه وتحلله.

لقد بذلت السلطة السوفيتية كل جهودها من أجل التطور الاجتماعي والقومي لجميع شعوب الاتحاد السوفيتي، محاولة بذلك الحفاظ على كل طبائعها الوطنية والقومية الفريدة في ثقافتها وحياتها المعيشية، التي تراكمت خلال تطورها التاريخي وتميزت بها هذه الشعوب.

---

\* البولينيون من بولنيزيا - وهي جزر في المحيط الهادي مثل هاواي وساموا وتونجا وماركيزاس .. وغيرها . ومنشأ البولنيزيين له نظريات متباينة ، منها ما يقول بأنهم قدموا من البيرو Thor Heyrdahl أو من قارة آسيا أو من الهند . عن كتاب الشعوب والسكان /المعرفة ، تاريخ الحضارة ، ١٩٨٥-المترجم  
\*\* مورغان ل. المجتمع القديم . دار النشر لمعهد الشمال ، ص ٦١ ، لينينغراد ، ١٩٣٥

## القسم التاسع تحلل (تفكك) العلاقات العشائرية

مضى وقت طويل منذ انحطاط البناء العشائري البطريركي، هذا البناء الذي ارتبط بقاؤه بتخلف القوى المنتجة البدائية، وبالطرق المتخلفة جداً في توزيع وسائل الإنتاج"، مع قلة أعداد السكان وتوفر الأراضي غير المملوكة". ومن ناحية أخرى أخذت القوى الاجتماعية المنتجة تنمو بثبات. واستمرت على هذا النحو إلى أن وصلت إلى درجة من التطور، أصبحت عندها على تناقض شديد مع علاقات الإنتاج، التي انقلب دورها من المساعد على تطور القوى المنتجة إلى قيود وأغلال لها. ولم تتطابق هذه الدرجة من تطور القوى المنتجة مع البناء العشائري البطريركي. ولم يظهر عدم التطابق هذا دفعة واحدة. إذ استمر التأثير المعنوي والتفكير العقلاني المتوارث من الحياة الاجتماعية العشائرية على شكل من مخلفات الماضي. وبقي هذا التأثير طويلاً. ولا تزال بعض أشكال الأفكار المتوارثة باقية في القرى الشيشانية الجبلية.

بقيت الأسس التي قامت عليها العادات تتحكم في حياة الشعب الشيشاني. حتى بعد دخول الإسلام واعتناق الشيشان تعاليمه، رفضوا بشكل قاطع الاعتراف به كشرعية بديلة لتلك العادات والتقاليد.

في إحدى رسائله الموجهة إلى الشعب الشيشاني كتب الإمام شامل بهذا الخصوص معنفا وموبخا يقول: " إن قمتُ بعمل ما يخالف الشريعة الإسلامية فلکم الحق أن تقتلونني في الحال. وإن أنتم قمتم بذلك سأقوم أنا بقطع رؤوسكم... لأن الشريعة تنادي بتجديد العقيدة وبالإيمان، وباعتناق الناس ديننا واحدا يؤمنون به. أما أنتم فتقومون بأعمال مخالفة تماما، والتي بسببها تستحقون عقابا صارما، سأنفذه بكم بكل عنف ".

فالشرائع الإسلامية كما ترجمها الدستور الإقطاعي، كانت من ضمن المفاهيم البعيدة كل البعد عن عادات وتقاليد الشعب الشيشاني. لذلك جاء القانون المتضمن للقضايا الجزائية صارما للغاية حسب تطبيق الشريعة. لهذا السبب بالذات وقف الشعب ضد الأساليب الجافة، التي كانت تتبع في تطبيق هذه المعتقدات.

هكذا نرى بأن القوانين والأنظمة العشائرية الشيشانية مثل سلطة زعماء العشيرة، ومنع الزواج بين أفراد العشيرة الواحدة، وتسمية العشائر بأسمائها الخاصة، وتواجد كل عشيرة في منطقة محددة، وعملية الأخذ بالثأر والتحام العشيرة وغيرها بقيت كما كانت عليه، ورسخت بقوة في الظروف الجديدة التي تميزت بقيام علاقات اقتصادية - اجتماعية مغايرة.

ومع مرور الزمن تغيرت هذه القوانين أيضا، متحولة من حيث الشكل إلى عادات عشائرية. واتخذت مضمونا خدم بالفعل الطبقة الحاكمة، وأصبح وسيلة لاضطهاد الجماهير. وكما يقول الفلاسفة: " فالظروف الاجتماعية التي تساعد على تواجد الطبقات ممكن أن تتغير جذريا ". أما المعتقدات والأفكار التي انخرست في الشعب، نتيجة الظروف الاجتماعية الماضية فهي مستمرة في وجودها، معرقة نمو كل جديد. ولا شك أيضا في أن ترسيخ العقائد والإيمان في نفوس البشر " لا يتم دون صراعات واصطدامات، لأن العملية بحد ذاتها تمس الشعور الداخلي ويحرك السيكولوجيا البشرية Human Psychology من أعماقها. هذا هو التقويم والتهديب في واقع الأمر، إن لم يكن يعني تحطيم العادات والتقاليد ذات النفوذ منذ قرون طويلة.

إن ترسبات وبقايا العلاقات العشائرية، والتي لم تزل قائمة إلى الآن، وتعمل في الحياة الاجتماعية للشعب الشيشاني، تخلق مصاعب ومعضلات معينة في طريق تقدمنا إلى الأمام. ومن الطبيعي أن الحكومات ( بإداراتها المختلفة وبمساعدة المجتمع نفسه ) لها دور بارز في إزالة مخلفات الماضي السيئة. وتستمد الحكومة قوتها الكاملة في عملها هذا من وقوف الناس أنفسهم ضد العقائد والعادات المتخلفة، وكل ما هو سلبي.

## القسم العاشر

## الخاتمة

هدفنا الرئيس من هذا الكتاب هو محاولة حل المسائل المتعلقة بجوهر التنظيم العشائري الشيشاني، وتوضيح علاقته مع المؤسسات الاجتماعية الأخرى.

إن التقاليد عندما تتحول إلى عادات تصبح حية وقوية تماماً ، وتغدوا من القواعد الأخلاقية والأدبية في حياة الناس العادية. لهذا السبب نجد في وقتنا الراهن من الأهمية بمكان دراسة القانون الحقوقي العادي للشيشان. ومن الضروري أن ندرك الماضي القديم، لكي نفهم بشكل سليم عمليات التطور التاريخي المتواصلة للشعب الشيشاني.

حتى نهاية القرن التاسع عشر، بقيت عادات وتقاليد العشائر الشيشانية سائدة، على الرغم من حدوث قفزات اقتصادية - اجتماعية عميقة في حياة هذا المجتمع. لقد استخدم الشيشاني المحراث الذي يجره الحيوان، واستحوذ على ملكيته الخاصة للأرض. وباتت تركة الميت توزع على أسرته فقط وليس على المجتمع كله. ثم دخلت الصناعات الخشبية والحرف اليدوية، وتطورت تجارة المقايضة والمبادلة... وهكذا نشأت مراكز البيع والشراء - الأسواق المركزية، التي تطورت معها العلاقات الاقتصادية المتبادلة للمنتجين الأفراد (الإنتاج النباتي والحيواني، الصيد والحرف المتنوعة الأخرى).

ونتيجة لهبوط مستوى تطور القوى المنتجة آنذاك، فقد ساد تبادل السلع الفطري البسيط على التجارة بمعناها العام. وضاق نطاق الحياة الاقتصادية، وتراجعت إلى الوراء. إن مثل هذه وغيرها من التغيرات رغم أنها ليست على قدر كبير من الأهمية، تقضي في النهاية إلى تغير شامل في وضع المجتمع، وتغذية مسيرته للأمام بدرجة كبيرة. وعلى هذا النحو وفي أواسط القرن السابع عشر، دخلت التركيبة الاجتماعية للشيشان مرحلة اتحاد عشائري على مستوى كبير من التطور، نظراً لما أحرزه من تقدم في العلاقات الاجتماعية. وتألّف هذا الاتحاد العشائري من :

**أولاً :** وار - أو عشيرة (تايب)، وتعني مجموعات من الأقارب بالدم، ينتمون لعشيرة محددة.

**ثانياً :** ثوقوم - أو قبيلة، وتعني اتحاد عشائري يقوم على قرابة الدم. وهذه العشائر انضمت مع بعضها البعض مكونة جماعة أعلى نوعاً ما، من أجل أهداف مشتركة.

**ثالثاً :** قم - أي شعب أو قوم أو أمّة، وتعني اتحاد قبائلي من عدة عشائر يرتفع إلى مستوى شعب أو أمّة. وغالبا ما ينتظم هؤلاء في قبائل تتكلم بلهجة واحدة من لغة وايناخ العامة All

. National Language Of Vainakhs

هكذا كان التنظيم العشائري للمجتمع الشيشاني قبل قيام دولتهم. وكان الشيشان في هذه المرحلة من التاريخ يزرعون وينتجون المحاصيل الحقلية كالقمح والشعير والذرة، والقرعيات والتبغ والأشجار المثمرة. وأتقنوا حياكة النسيج ومعالجة الجلد من دباغة وتصنيع. وتكونت أهم أسلحتهم من القوس والسهم والقامة الحربية - الخنجر الطويل (شالتا بالشيشانية) والترس. ولبسوا الملابس الجلدية والمنسوجات، وكانوا صيادين متمرسين، وبنوا البيوت والقلاع. كما خبزوا الخبز وجهزوا الطعام المتنوع.

ومن خلال الحفريات والاكتشافات المستمرة في مناطق بلاد الشيشان - إنجوش، تم

العثور على أشياء أثرية نادرة مثل أوعية ماء برونزية إيرانية، ومجموعة من العقود المصنوعة من الخرز الزجاجي وبألوان زيتية من مصر. ونماذج من أكاليل أو شارات من

العظم من بقايا شعوب السكيف المتنقلة... وغيرها من الأشياء تدل كلها على وجود علاقات وطيدة للشيشان مع العالم الخارجي.

لم يعد الزواج الأحادي (زوج واحد للمرأة) Monogamy في القرن السابع عشر شيئاً طارئاً على المجتمع الشيشاني. لقد ضمت مجموعة العائلة الواحدة إلى نفسها عدة أجيال من الأقارب مع زوجاتهم والأولاد؛ الذين اعتبروا أحفاد جد واحد. وهكذا كانت نهاية الحياة الاجتماعية القديمة. وأصبح أفراد هذه الجماعة شهوداً على تفشي الأنانية فيما بينهم، وازدياد الاهتمام بالمصالح الفردية أو الشخصية، مما أدى في النهاية إلى ضعف احترام المصالح الاجتماعية العامة.

إن الصراع الذي احتدم في ذلك الوقت مع الماضي كان صعباً وديالكتيكياً. ومضت الفترة المديدة من الماضي السحيق، وحتى نهاية القرن السابع عشر، دون أن تترك أثراً للتاريخ أو أي دلائل تشير إلى شيء ما يرجع إليها الباحث.

بعد الاطلاع على الاكتشافات التي تمت في الآونة الأخيرة على أيدي المنقبين وعلماء الآثار، وبعد دراسة التراث الفلكلوري لهذا الشعب؛ نتوصل إلى نتيجة لا تقبل النقاش وهي - انعدام التكافؤ في أوائل القرن السابع عشر، بين أعضاء العشيرة الشيشانية من الناحية الاقتصادية، بحكم الفروق الاجتماعية داخل العشيرة.

إن الأشعار الشعبية والأساطير الرائعة بمحتواها ومضمونها تُلقي ضوءاً كاشفاً على القرون الخوالي، وتتيح لنا النظر بإمعان في تاريخ الشعب الشيشاني. وهي تصور لنا طبيعة الحياة والصراع الاجتماعي لتلك الفترة البعيدة، بين مختلف القبائل الشيشانية. والحقيقة أننا نجابه هنا مشكلة تحديد تواريخ هذه الأساطير والأشعار. وعلى الرغم من ذلك، وعلى أساس التحليل والمعطيات الفلكلورية والاكتشافات الأثرية، نستطيع وبكل جرأة القول : - **أولاً** : كانت العشيرة الشيشانية في القرن السابع عشر عبارة عن شكل من أشكال المجتمع العشائري البطيركي الكبير، الذي وصل مرحلة التحلل والتفكك، حيث كان جميع أفراده متساوين في الحقوق والواجبات وفي الإنتاج والاستهلاك.

**ثانياً** : تضافر جهود أعضاء العشيرة في تلك الحقبة من الزمن من أجل مصلحة علاقات القرابة بالدم، وليس من أجل المصالح الاقتصادية الفردية، كما ولا تدخل هنا كل قرابة؛ بل تلك المنحدرة عن الجد الواحد فقط.

**ثالثاً** : تطلب مرور العشيرة بتاريخ طويل من تطورها إلى تحديث مستمر في العلاقات والارتباطات العشائرية.

ما هي الأسباب التي ساعدت الشيشان على الحفاظ لدرجة طويلة على مثل تلك المؤسسات العشائرية؟! إن واحدة من تلك الأسباب تكمن كما نعتقد في ركود وتوقف العلاقات الإقطاعية في المجتمع الشيشاني. هذه العلاقات التي سادت وسيطرت لحقبة طويلة من الزمن على عملية تبادل السلع البدائي البسيط، إضافة إلى أشكال الحياة المغلقة للناس وخصوصاً بين فئة المزارعين.

ومن جهة أخرى هناك شيء مخالف - وهو أن تحلل (تفكك) التنظيم العشائري للمجتمع، وتكون الاتحاد القبائلي، لم يكن نتيجة للتغيرات الداخلية فيه فقط، إذ لعبت التأثيرات الخارجية دوراً فعالاً أيضاً. وبالذات - الصراعات والمنافسات الحربية، التي أصبحت مع ظهور الملكية الفردية الطريق الرئيسية للغنى وتملك الثروات.

هكذا كانت الظروف مواتية تماما خلال القرن السابع عشر لتجميع الثروات والأموال الوفيرة لدى الأسرة، الأمر الذي وفر لها عامل القوة، بعكس ما حصل للعشيرة بأكملها. فالأسرة الصغيرة المكونة فقط من الأبوين والأولاد، أصبحت الخلية الأساسية لتكوين مجتمع طبقي جديد، ظهرت فيه صراعات وحروب متواصلة من أجل التملك والغنى، أو حيازة الأشياء، وتسلط القوي على الضعيف.

انتهت الترجمة في ١٤/١٠/١٩٨٦